نهج القداسة

جيري ابردجز

دار النشر المعمدانية

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

المحتويات

الكاتب
توطئة
مقدمة
الفصل الأول: القداسة تعنيك
الفصل الثاني: قداسة الله
الفصل الثالث: لا بديل من القداسة
الفصل الرابع: قداسة المسيح
الفصل الخامس: انتقالٌ من مملكة إلى مملكة
الفصل السادس: الجهاد في سبيل القداسة
الفصل السابع: عون في الجهاد اليومي
الفصل الثامن: الطاعة لا النصرة.
الفصل التاسع: إماتة الخطيئة
الفصل العاشر: أهمية تدريب الذات
الفصل الحادي عشر: القداسة في الجسد
الفصل الثاني عشر: القداسة في الروح
الفصل الثالث عشر: القداسة والإرادة
الفصل الرابع عشر: عادات في القداسة
الفصل الخامس عشر: القداسة والإيمان
الفصل السادس عشر: القداسة في عالمٍ شرّير
الفصل السابع عشر: فرح القداسة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكاتب

يشغل جيري آبْرِدجِز (Jerry Bridges) منصب نائب الرئيس في دائرة الشؤون العامة لحركة "الملاحون" (The Navigators)، وهو مسؤول عن إدارة القضايا القانونية والحكومية المتعلقة بهذه الجمعية في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد كان جيري أمين الصندوق في "الملاحون" من السنة ١٩٦٩ إلى السنة ١٩٧٩.

ترعرع جيري في منطقة تايلر (Tyler) من ولاية تكساس، وقبِلَ الرب يسوع مخلصاً شخصياً له وهو بعد فتى يافع بتأثير من الكنيسة المحلية. وتلقى دروسه الجامعية في جامعة أوكلاهوما بموجب برنامج منح تقدمه البحرية الأمريكية، حيث نال شهادة بكالوريوس في الهندسة العامة سنة ١٩٥١، وعُيِّنَ ضابطاً في البحرية الأمريكية، حيث التقى "الملاحون" في الشهور الأولى من خدمته.

وبعد صرفه من البحرية، خدم مع "الملاحون" في منطقة سان دياغو بولاية كاليفورنيا، وكان في الوقت عينه يعمل مهندساً في شركة لتصنيع الطائرات. وفي العام ١٩٥٥ انتقل إلى كولورادو اسبرنغز ليتفرغ للخدمة في حركة" الملاحون "في مركزها الرئيسي. وخدم أيضا في هولندا بصفة مساعد إداري لمدير الملاحون في أوروبا، وشغل أيضا منصب ممثل منطقة في مدينة كنساس من ولاية ميسوري. وجيري ابردجز حالياً مع زوجته اليانور وولديه في كولورادو اسبرنغز.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

توطئة

هذا الكتاب الذي يبحث القداسة بمفهومها الكتابي والعملي هو من نتاج جيري ابردجز، نائب رئيس الشؤون العامة في حركة "الملاحون"، وقد عمل سابقاً مع هذه المؤسسة المباركة في حقل الخدمة في ميسوري،كولورادو، وفي هولندا، قبل أن يتولى مسؤولية إدارة شؤونها القضائية والمالية. والحق أنه كتاب فريد لا نكاد نجد له مثيلاً سواء من حيث وضوح الفكرة وجاذبية الأسلوب، أو من حيث حث الضمير وتنشيطه على نشدان القداسة العملية. والرب، بالطبع، هو الذي أمد خادمه بالقوة لأن يعد كتاباً سيكون له بالغ الأثر في حياة العديدين الذين يقرأونه.

يسيطر على هذه الدراسة، المؤثرة في صميم الكيان، غرض واحد وهو حث المؤمنين المسيحيين على مضاعفة السعي في أثر حياة القداسة. غرض لا يمكن أن يتحقق إلا بقوة الله فقط، فيما تستحوذ قداسته السامية على الفكر والقلب مقترنة بروح الشكر وعرفان الجميل. وإن كلمة "السعي" هي الكلمة المفتاح التي ترد مراراً وتنم عن اختبار الكاتب في مساعيه الحثيثة للسير في نهج القداسة.

في بيان "الاستقلال" أعلن توماس جفرسون أن حقاً من حقوق الإنسان، متأصلاً وغير قابل للتحويل، هو حق "نشدان السعادة". وعلى كل مسيحي مؤمن أن يعي هذه الحقيقة: أن جُلّ ما يبتغيه الله منّا هو السعي الدءوب لتحقيق حياة القداسة كانعكاس لقدسيته تعالى: "كونوا قديسين لأني أنا قدوس".

منذ مئة عام تقريباً حضّ وليم بلايك قُرّاءَه "على نبذ القداسة، وأخذ العقل". ولكن العقل بمعزل عن القداسة التي يطلبها الله أشبه بسفينة دون ربّان، محكوم عليها بالهلاك. ففي نشدان القداسة ينبغي أن نرفع من القلب دوماً هذه الصلاة :

خذ عقلي مني هبة أبذلها في خدمتك

مستخدماً مواهبي كما ترى بحكمتك.

لذلك يسعدني أن أناشد القرّاء بكل حرارة الإقبال على مطالعة هذا الكتاب الآسر بما يكشفه من حقائق القداسة العملية، حيث يوضح المؤلف أن نواحي الحياة بجملتها يجب أن تتخللها القداسة التي لا تأتي إلا من لدن الله الكلي القداسة.

الدكتور هيربرت لوكيور

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مقدمة

يحرث الفلاح حقله، ثم ينثر البذار، ويعتني بالتربة فيضيف إليها الأسمدة، وهو يعلم علم اليقين أنه في النهاية خاضعٌ تماماً لقوى خارجة عن نطاق إرادته. فهو يعرف أنه لا يستطيع إنبات البذار ولا إحداث المطر وضوء الشمس لينمي المحصول ويحصده. لذا تجده يتّكل على الله لتوفير هذه الشروط كي يحصل على غلال وفيرة.

ولكن هذا الفلاح يعلم أنه إذا لم يثابر بكل اجتهاد، ولم يتكبد مشقات كثيرة، من حراثة وزرع وتسميد وعناية، فليس له أن يتوقع محصولاً في نهاية الموسم. أنه إذا جاز التعبير، يتعاون مع الله، ولا يضمن الفوائد إلا عندما يقوم بمسؤولياته.

فالزراعة بمثابة مغامرة مشتركة بين الله والمزارع. إذ ليس بوسع المزارع أن يعمل ما يعمله الله، ولا يعقل أن يقوم الله بما يجب أن يقوم به المزارع. هكذا نستطيع التشديد على أن السعي وراء القداسة هو أيضا مشروع مشترك بين الله والمؤمن المسيحي. فلا يمكن لأحد أن يرتقي درجة واحدة في سلم القداسة دون أن يعمل الله في حياته، ومن المحقّق أيضاً أن لا أحد يتقدم في القداسة دون مجهود يبذله هو. فقد يسّرَ الله سبيل السلوك في منهج القداسة، لكنه ألقى على عواتقنا مسؤولية العمل والسير. وهو تعالى لا يقوم بذلك عوضاً عنّا.

يلذّ لنا نحن المسيحيين المؤمنين، أن نفيض في التحدث عن إعدادات الله، وكيفية سحق المسيح للخطيّة على الصليب، وإعطائنا هبة الروح القدس للانتصار على الخطيّة. ولكننا نجد صعوبة في التكلم عن مسؤوليتنا الخاصة في سلوك سبيل القداسة. ولهذه الظاهرة سببان رئيسان: السبب الأول يكمن، وبكل بساطة، في أننا نأبى أن نتحمل مسؤولياتنا بطيبة خاطر. فنحن نؤثر أن نترك هذا الأمر لله، ونصلي طالبين النصرة في حين نعلم أن علينا أن نسلك الطاعة.

أما السبب الثاني فمردّه إلى عدم إدراكنا للفرق الواضح بين الإعداد الإلهي في مسألة القداسة من جهة ومسؤولياتنا الشخصية من جهة أخرى. وقد جاهدت طويلاً مع السؤال التالي: "ماذا ينبغي أن أعمل أنا، وفيم أتكّل على الله كي يعمله هو؟" ولكن حينما فهمتُ ما يعلّمه الكتاب المقدس في هذا الموضوع، حينئذٍ فقط تصديت لمسؤوليتي بثقة واختبرت بهجة السلوك في سبيل القداسة.

وأما عنوان الكتاب فهو مستوحىً من الوصية الكتابية "اتبعوا.... القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب" (عبرانيين ١٢: ١٤). وهذه الوصية تتضمن في طياتها فكرتين: الفكرة الأولى أن الاجتهاد والمثابرة هما أمران حيويّان، والفكرة الثانية أن هذا السعي هو مهمة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تدوم العمر كله. هاتان الفكرتان هما المحور الذي يدور حوله موضوع هذا الكتاب. وفيما سعيتُ لأن أوضح بدقة وجلاء ما أعدّه الله للقداسة، تعمّدتُ الإصرار على ناحية المسؤولية الفردية شعوراً مني بأن هذا الإصرار هو أمسّ ما يحتاج إليه المؤمنون المسيحيون اليوم. وقد حاولت في الوقت عينه التشديد على أن القداسة هي عملية مستمرة، لن نبلغ البتة نهاية شوطها في هذه الحياة. بل بالأحرى إذ نبدأ بالخضوع لإرادة الله في ناحية معينة من نواحي حياتنا، يُكشف لنا النقاب عن حاجة ماسة في ناحية أخرى. لهذا السبب نحن دائماً بصدد نشدان القداسة في هذه الحياة، وإن كان يستحيل علينا البلوغ إلى نهاية شوطها.

وعلاوة على دراستي الشخصية لموضوع القداسة في كلمة الله، جنيت فائدة جمة مما كتبه "الطهوريّون" (The Puritans) ومن جاراهم في هذه المدرسة الفكرية من حيث موضوع القداسة. ففي عدة مناسبات اقتبست مباشرة من كتاباتهم، وأشرت إلى ذلك بوضوح. وفي شواهد أخرى، اندمج أسلوبي في التعبير بأسلوبهم الخاص في صياغة الألفاظ. وهذا ينطبق فعلاً على كتابات جان أوين (John Owen) والدكتور د. مارتن لويد جونز (D. Martyn Lioyd Jones) من لندن، وكان لي في كتاباتهما حول هذا الموضوع بركة شخصية ثمينة جداً.

لست أدّعي أني متمكنٌ من الموضوع بكل جوانبه، أو أني أحرزتُ تقدماً شخصياً ملموساً. وخلال كتابتي اضطررتُ مراتٍ عديدة أن أطبق هذه المبادئ في حياتي أولاً. وما اكتشفته كان لي عوناً فعالاً وحيوياً في سعيي وراء القداسة، وأثق أنه سيساعد أيضاً قارئ هذا الكتاب.

وللتعمق أكثر في المبادئ الكتابية المتعلقة بالقداسة والتي بحثتها في هذا الكتاب، أشجع القارئ أن يدرس مواد "دراسة كتابية في نهج القداسة"، وهو كُرّاس رديف لهذا الكتاب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الأول

القداسة تعنيك

"فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة" (رومية ٦: ١٤).

رنين الهاتف الحاد يقطع سكينة ذلك الصباح البهي المنعش الذي كثيراً ما نشهد مثله في كولورادو. ويأتي من الطرف الآخر صوت واحد من الثقلاء الذين يبدو أن الله قد نثرهم على وجه هذه البسيطة ليمتحن صبر أولاده وقوة احتمالهم.

كان في أوج عزّه ذلك الصباح، متعجرفاً برماً كثير المطالب. أعدتُ السماعة إلى موضعها، وقلبي يجتاحه إعصارٌ من الغيظ والامتعاض، بل ربما من الكراهية أيضاً، ثم أخذت معطفي وخرجت إلى الهواء الطلق لعلي أستعيد رباطة جأشي. ماذا حلّ بهدوء النفس الذي تأتّى لي أن أنعم به من طريق لقائي اليومي بالله خلال خلوة التعبد ذلك الصباح؟ لقد ذهب أدراج الرياح، وحل محله بركان متأجج من المشاعر الثائرة.

وما إن سكنت ثورة مشاعري، حتى تحول غضبي إلى وهن في العزيمة. لم تكن الساعة قد جاوزت الثامنة والنصف، وها نهاري قد تعكر. فما غدوت مثبط العزيمة فقط بل حائراً أيضاً. كنت منذ ساعتين فقط قد قرأت العبارة الجميلة التي يشدد عليها بولس: "فإن الخطية لم تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة". ولكن رغم هذا الوعد الجميل الوقع بالانتصار على الخطية، ألفيت نفسي في قبضة الغضب والاستياء، وكأن ملزمة ضاغطة قد أطبقت عليّ. وساءلت نفسي في ذلك الصباح: "أفي الكتاب المقدس حلول عملية لمصاعب الحياة؟" كنت أرغب من صميم قلبي أن أعيش حياة الطاعة والقداسة، لكن مكالمة هاتفية واحدة قهرتني ودحرتني.

ربما كان لهذه الحادثة صدى مألوف لديك. وفي حين أن الظروف قد تختلف، فربما تكون ردة فعلك مماثلة. فقد تكون مشكلتك هي الغضب على أولادك أو الانفعال في عملك، أو عادة غير حميدة أخلاقياً لا تقدر أن تتغلب عليها، أو ربما جملة من الخطايا "المحيطة" بك تنهشك ليلاً نهاراً.

مهما كان نوع مشكلتك أو مشاكلك مع الخطية فالأمل لم ينقطع بعد، لأن في الكتاب المقدس حلاً لها، بكل تأكيد. فأنت وأنا لنا أن نسلك في الطاعة لكلمة الله ونحيا في القداسة. وكما سنرى في الفصل التالي، فإن الله يتوقع فعلاً من كل مسيحي أن يعيش حياة القداسة. لكن القداسة ليست أمراً متوقعاً وحسب، بل هي حق من حقوق الولادة الجديدة يناله كل مؤمن مسيحي. فإن ما يقوله بولس صادق وصحيح: إن الخطية لن تسودنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قد يبدو مفهوم القداسة أوّل وهلة، قديما بائداً في نظر الجيل الجديد المعاصر. فعندما تقع هذه الكلمة في مسامع بعضهم، تتبادر إلى أذهانهم صورٌ من الشعر المضفور كعكة والملابس الطويلة والجوارب السود، فيما ترتبط هذه الكلمة لدى آخرين بموقف متديّن استعلائي لسان حاله "أنا أقدس منك". غير أن القداسة هي من صميم كلمة الله، حيث ترد الكلمة بجميع اشتقاقاتها المختلفة أكثر من ست مئة مرة في الكتاب المقدس. حتى إن سفراً بكامله، هو سفر اللاويين، مخصصّ لهذا الموضوع. وفكرة القداسة تتداخل في الأسفار المقدّسة أيضاً. ويبقى الأهم أن الله يأمرنا على نحو محدّد بأن نكون قديسين (راجع لاويين ١١: ٤٤).

أما السؤال: كيف نكون قديسين، فقد كان عرضة لعدّة مفاهيم خاطئة. ففي بعض الأوساط تتساوى فكرة القداسة مع سلسة من المحرّمات المحدّدة، عادة في مجالات التدخين والمسكرات والرقص، ونحوها. وتختلف لوائح المحظورات تبعاً لاختلاف الجماعات. فإذا نظرنا إلى القداسة من هذه الناحية، نصبح في خطر التشبّه بالفريسيين بما كان لهم من لوائح مستفيضة أدرجت فيها الأوامر والنواهي، ومواقف تتسم بالبر الذاتي. والقداسة عند آخرين تعني نمطاً معيّناً من الحياة، أو زيّاً خاصاً من اللباس. على أن من الناس أيضاً من يعد القداسة كمالاً مستحيل المنال، وهذه الفكرة تعززّ لدى الإنسان إما التوهّم وإما الشعور بالخيبة إزاء الخطيّة.

هذه المعتقدات كلّها، ولو كانت دقيقة لحدّ معّين، تخفق في إدراك المفهوم الصحيح للقداسة. فأن تكون قديساً معناه أن تكون بلا لوم من الناحية الخلقيّة. معناه أن تكون منفصلاً عن الخطيّة، ومكرساً لله بالتالي. لأنّ للكلمة المدلول التالي: "الانفراز لله، والسلوك اللائق بمن ينفرزون له".

ولعلّ أفضل طريقة لإيضاح مفهوم القداسة هي أن نشير إلى كيفية استعمال هذه الكلمة من قبل كتبة العهد الجديد. ففي ١ تسالونيكي ٤: ٣-٧ يستعمل بولس هذه اللفظة بالمفارقة مع عيشة الفجور والنجاسة. ويستعمل بطرس الكلمة بالمباينة مع السيرة بمقتضى الشهوات الشريرة التي كانت لنا لمّا كنّا نعيش بمعزل عن المسيح (١بطرس١: ١٤-١٦). وفي سفر الرؤيا (٢٢: ١١) يفارق يوحنا بين من هو مقدّس ومن يفعلون الظّلم والنجاسة. فأن نحيا حياةً مقدّسة إذاً معناه أن نحيا حياة توافق المبادئ الأخلاقية المبينّة في الكتاب المقدس، وتخالف مسالك العالم الشريرة. معناه أن نسير سيرة تتميّز بما تنصّ عليه الجملة التالية: "أن تخلعوا .. الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور... وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق" (أفسس ٤: ٢٢-٢٤).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فما دامت القداسة إذاً مبدأً أساسياً في الحياة المسيحية على هذا النحو، فلم لا نختبرها أكثر في حياتنا اليومية؟ ولماذا يشعر الكثير من المؤمنين المسيحيين أنهم دوماً مهزومون في جهادهم ضدّ الخطيّة؟ ولماذا تبدو كنيسة المسيح في أغلب الأحيان أكثر تكيّفاً مع العالم المحيط بها ممّا هي مع الله؟

إذا جازفنا بالإفراط في التبسيط، أمكننا أن ندرج الأجوبة عن هذه الأسئلة ضمن مجموعات أساسية تنحصر في ثلاث مشاكل.

فمشكلتنا الأولى أن موقفنا من الخطيّة يتمحور حول "الأنا" وليس حول الله. إذ نهتم أكثر بانتصارنا نحن على الخطيّة أكثر من اهتمامنا بكون خطايانا تحزن روح الله. ونحن لا نحتمل الفشل في صراعنا مع الخطيّة ليس لعلمنا أنها تعدٍّ لإرادة الله، بل لأننّا تواقون للنجاح وراغبون فيه.

يقول بلامر (W. S. Plumer): [لن نرى الخطيّة كما هي بالحقيقة إلا عندما ندرك أنها موجّهة ضد الله. فكل خطيّة هي ضدّ الله بالمعنى التالي: إن شريعته هي ما تعدّيناه، وسلطانه هو ما استخففنا به، وسيادته هي ما لم نعتدّ به...كلٌّ من فرعون وبلعام وشاول ويهوذا قال أخطأت. ولكن الابن الضال قال عند عودته: "أخطأت إلى السماء وقدّامك." كما أن داود قال: "إليك وحدك أخطأت."] يريد الله أن نسلك بالطاعة وليس بالنُّصرة. لأن الطاعة موجّهة نحو الله، أما النصرة فموجّهة نحو الذات. قد يبدو هذا الكلام مجرد جدال حول دلالة الكلمات، غير أن جذور مشكلتنا مع الخطيّة متأصلة في تربة موقف خبيث متمحور حول الذات. فما لم نواجه هذا الموقف ونعالجه، لا يكون سلوكنا في القداسة مستقيماً وراسخ الأساس.

وليس المغزى من كلامي هذا أن الله لا يريد أن نختبر النصرة، بل بالأحرى أريد أن أشدد على النصرة نتيجة ثانوية من نتائج الطاعة. فعندما نركّز اهتمامنا على أن نعيش حياة تتصف بالطاعة والقداسة، سوف نختبر حتماً فرحة النُّصرة على الخطيّة.

أمّا المشكلة الثانية فهي أننا أسأنا فهم عبارة "الحياة في الإيمان" (غلاطية ٢ : ٢٠) بمعنى أن أي جهد شخصي لا يُطلب منّا أن نبذله في سبيل القداسة. وبالفعل، فإننّا في بعض الأحيان قلنا بصراحة إنّ أي مجهود من قِبَلِ الإنسان إنمّا هو صادر "عن الجسد".

وتفيدنا في هذا السياق كلمات رايل (J .C. Ryle) أسقف ليفربول من سنة ١٨٨٠ حتى سنة ١٩٠٠: "أمن الحكمة أن يصرّح الكثيرون منّا بأسلوب جريء وصريح وقاطع، بأن قداسة المتجدد تتّم بالإيمان فقط، بلا أي مجهود شخصي البتّة؟ أيناسب هذا مقياس كلمة الله؟ إنّي أشك في ذلك. ولن يفكر أي مؤمن مسيحي عليم بأنّ يدحض هذا التعليم: أنّ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإيمان بالمسيح هو أصل كل قداسة. ولكن الكتاب المقدّس يعلّمنا يقيناً أنّه في إتّباع القداسة يحتاج المسيحي الحقيقي إلى أن يبذل مجهوداً وعملاً شخصياً فضلاً عن إيمانه."

علينا الإقرار بواقع مسؤوليتنا الشخصية في مسيرتنا في القداسة. وقد قال راعي كنيستنا في إحدى عظاته ذات أحدٍ كلاماً بصدد هذا الموضوع: "إذا كنت ترغب بكل إخلاص، فبإمكانك أن تتخلى عن تلك العادة التي تسيطر عليك." ولأنه كان يشير إلى عادة معينة لم تكن مشكلة بالنسبة إليّ، وافقته في الرأي مسرعاً. وبعد ذلك سمعت صوت روح الله القدوس يقول لي: "بإمكانك أنت أيضاً أن تتخلّى عن العادات الشنيعة التي تقلقك وتضنيك إذا تحملت مسؤوليتك الذاتية تجاه هذه الخطايا." وكان إقراري بهذه المسؤولية مرحلة مهمة من مسيري في طريق القداسة.

وأمّا المشكلة الثالثة فهي أننا لا نأخذ نوعاً من الخطايا على محمل الجدّ. فقد وضعنا تصنيفاً عقلياً للخطيّة يدخلها ضمن فئتين: فئة الخطايا التي لا يعقل أن تقبل أبداً، والفئة الثانية هي الخطايا المعقولة أو المقبولة نسبياً. ولتوضيح هذه النقطة أروي لكم حادثة جري وأنا أخط السطور الختامية من هذا الكتاب. كانت مؤسستنا تستعمل بيتاً متنقلاً يشكّل مركزاً مؤقتاً لأعمالها، ريثما يتمّ إنجاز تسهيلات جديدة كانت قد تأخّرت. وبما أن عقارنا لم يكن داخلاً ضمن المساحات المستعملة للبيوت المتنقّلة، كان علينا الحصول على إجازة خاصة لإشغال هذه المقطورة، وأن تجدد هذه الإجازة عدّة مرات. وانتهت مدة التجديد الأخير مع إنجاز التسهيلات الجديدة، ولكن لم يكن لدينا المتسّع من الوقت للانتقال بطريقة منظمة. وهذا ما عجّل حدوث أزمة للقسم الذي كان يشغل هذه المقطورة.

وفي اجتماع عقد للبحث في هذه المشكلة طرح السؤال التالي: "ما المشكلة إذا لم ينتقل هذا القسم لبضعة أيام؟" أي فرق في ذلك؟ وعلى أيّ حال فالمقصورة تحجبها عن الأنظار بعض التلال، والقانون لا يجبرنا على نقل البيت بل على إخلائه. فإذاً، أي خطب في أن نطيل البقاء بضعة أيام بعد تاريخ انتهاء الرخصة؟ أليس التشديد على الطاعة الحرفية للقانون تقيّداً مفرطاً به؟

لكن الكتاب المقدس يعلمنا أن "الثعالب الصغار" هي "المفسدة الكروم" (نشيد الإنشاد ٢: ١٥). فالمساومة في الأمور الصغيرة إنما تفضي إلى السقطات الكبيرة. ومن ذا يدعي أن غضّ الطّرف عن قانون مدنيّ ما ليس خطيّة مهمة في نظر الله؟

كتب أندرو بونار (Anderw Bonar) في تعليق على الوصايا الفائقة الدقة التي أمر بها الله شعبه في العهد القديم لجهة تحريم بعض الأطعمة وتحليل بعضها: "يجب ألا يكون مقياس الطاعة أهميّة الوصيّة بل بالأحرى جلال المشترع... وقد يعتبر بعضهم هذه التشريعات الدقيقة والقاطعة تافهة. لكن المبدأ في الطاعة أو عدم الطاعة هنا هو عينه الذي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

جرى العمل به في عدن حول الشجرة المحرمة. فالأمر المهمّ هو هذا: هل استطاع الله في كل شيء مهما كانت وصيّته؟ أليس هو مشترعاً قدّوساً؟ وهل تلتزم خلائقه الموافقة التامّة على مشيئته؟"

أنحن على استعداد لتسمية الخطيّة باسمها لا لأنها صغيرة أو كبيرة، بل لأن ناموس الله يحرّمها؟ لا يمكننا تصنيف الخطيّة إذا أردنا أن نحيا حياة القداسة. لن يدعنا الله نتملص من مسؤوليتنا بمثل هذا الموقف.

سأعود إلى معالجة هذه النقاط الثلاث بالتفصيل في الفصول اللاحقة من هذا الكتاب. لكن قبل المضي قدماً، أطلب إليك الآن أن تخصص وقتاً قصيراً لكي ترسخ هذه الحقائق في قلبك. هل ستعتبر الخطيّة من الآن فصاعداً معصية للإله القدوس أو مجرد فشل شخصي؟ هل ستبدأ بتحمل مسؤولياتك الشخصية تجاه خطيتك مدركاً أنّ عليك، في الوقت عينه، أن تتكّل على نعمة الله. وهل ستقرر أن تطيع الله في كل نواحي حياتك مهما كانت المسألة بسيطة؟

في الخطوة التالية سنتحدث عن قداسة الله. ذلك أنه هو النبع الحقيقي، فالقداسة لا تبدأ منا. وعندما ندرك قداسة الله وطهارته المطلقة وكرهه الأدبيّ للخطيّة ضد الله القدوس. وحينما يمتلكنا هذا الشعور، نكون قد خطونا الخطوة الأولى في سعينا وراء القداسة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثاني

قداسة الله

"بل نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة. لأنه مكتوب كونوا قديسين لأني أنا قدوس" (بطرس ١: ١٥-١٦).

يدعو الله كل مؤمن مسيحي لأن يحيا حياة القداسة. وليس من استثناء في هذه الدعوة، أي أنها لا تقتصر فقط على الرعاة أو المرسلين أو حفنة من معلمي مدرسة الأحد المكّرسين. فكل مؤمن إلى أي عرق انتمى، غنياً كان أو فقيراً، مثقفاً أو أميّاً، ذا نفوذ أو نكرة، هو مدعوٌّ لكي يكون قديساً.

ويتساوى جميع المؤمنين المسيحيين في كونهم مدعوّين إلى القداسة، من السمكري إلى المصرفي، ومن ربّة البيت العادية إلى رئيس الدولة المتسلّط.

هذه الدعوة إلى القداسة مؤسسة على حقيقة كون الله نفسه قدّوساً. فلأنّه قدوس، فهو يطلب منا القداسة. كثيرون من المؤمنين المسيحيين في أيامنا الحاضرة لديهم ما يمكن تسميته "قداسة التأدّب". إذ تراهم يتكيّفون مع أخلاق المؤمنين الذين حولهم ومع نموذج سلوكهم. وكلما تباينت المفاهيم المسيحية لنوعية القداسة تراهم يتقلّبون معها. لكن الله لم يدعنا للتشبه بمن هم حولنا، بل دعانا لنكون مثله هو، فالقداسة ليست أقل من التكيّف التامّ مع طبيعة الله الأدبيّة[١].

وكما وردت هذه الكلمة في الكتاب المقدس، فهي تصف جلال الله وطهارة طبيعته وكمالها الأدبيّ. فالقداسة هي إحدى سجايا الله، أي أنها صفة جوهرية من صفات كينونته[٢]. وقداسة الله واجبة الوجود شأنها شأن وجوده في كل مكان وحكمته وعلمه بكل شيء، على سبيل التمثيل. فكما أنه لا يعقل إلا أن يعرف ما هو حق، كذلك لا يعقل إلا أن يعمل ما هو حق.

نحن أنفسنا لا ندرك دوماً ما هو الصواب، أو ما هو حق وعادل. وفي بعض الأحيان يشقّ علينا أن نتخذ قرارات حاسمة في الأمور ذات الطابع الأخلاقيّ. فنتساءل: "ما

[١] في تعريف للكلمة يقدمّه أحد القواميس:" القداسة أساساً هي التشبّه بالله". ويقول شارلز هودج (Charles Hodge) في معرض كلامه عن رومية ٦: ١٩:" النتيجة المترتبة على طاعة الله هي التكيف القلبيّ مع الصور الإلهية". كما يقول بينك (A. W. Pink) "قوام القداسة ذلك التغيّر الداخلّي في النفس، الذي يصهر عقولنا وعواطفنا وإرادتنا في بوتقة الانسجام مع الله".

[٢] إن السجايا التي تنسب إلى الله تشير إلى صفاته الجوهرية وهي تستنتج من المقاطع الكتابية التي تصف الله. ونستدل على سجية القداسة من الشواهد التالية، تمثيلاً- خروج ١٥: ١١،لاويين ١٩: ٢، مزمور ٨٩: ٣٥، أشعيا ٥٧: ١٥، ١ بطرس ١: ١٥و١٦.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هي الطريقة المثلى للتصرّف؟" وبالطبع، فإن الله لا يواجه البتة مثل هذا المأزق، فإن معرفته الكاملة تستبعد أي احتمال لعدم التمييز بين ما هو حق وما هو باطل.

ولكننا في بعض الأحيان، ولو كنا ندرك الصواب، ننفر منه أو نتوانى عنه، لأن عمل ما هو حق قد يتطلب تضحية معيّنة، أو ضربة مسددة إلى كبريائنا (مثلاً، عندما نعلم أن علينا الاعتراف بخطيّة لشخص ما) أو ربما تحول دونه عوائق أخرى. هذا الكلام لا يصحّ أبداً على الله. فالله لا يتردد البتة. فهو دائماً وأبداً يعمل ما هو صلاح وحق دون أدنى تردّد. ومن المستحيل بحسب جوهر كينونة الله أن يتصرف سوى هذا التصرف.

إذاً قداسة الله منزّهة تماماً عن كل ما هو شرّ. نحن نقول أن هذا الثوب نظيف عندما يكون خالياً من أي بقعة، أو أن الذهب خالص عندما ينقّى من الشوائب. كذلك يمكننا أن نقول أن قداسة الله تعني عدم وجود أدنى شرٍّ فيه على الإطلاق، فكما يقول يوحنا: "الله نور وليس فيه ظلمة البتة" (١ يوحنا ١: ٥). وعندما ترد الكلمتان "نور" و"ظلمة" في الكتاب المقدس في مثل هذا السياق، يكون لهما مدلول أدبيّ أو خلقيّ. إذاً، يفيدنا يوحنا أن الله براءٌ كلياً من أي شرّ أدبيّ، وأن جوهره الكلي النقاوة هو نبع الطهارة الخلقية الصرف.

وتتضمن قداسة الله أيضاً توافقه التامّ مع طبيعته الإلهية. أيّ أن كل أفكاره وأعماله متوافقة مع جوهره القدّوس. وعلى سبيل المفارقة، لننظر إلى حياتنا نحن، فنجد أننا مع مرور الزمن إذ ننضج في الحياة المسيحية يتكوّن لدينا خلق مسيحي إلى حدٍّ ما. فنرانا ننمو في بعض النواحي، مثل الصدق والطهارة والتواضع. لكننا لا نتصرف دوماً بطريقة توافق خلقنا هذا، فنكذب كذبة أو نسمح لأنفسنا بالانزلاق في شرك من الأفكار النجسة. وبعد ذلك نرتاع من جراء مثل هذه التصرفات لأنها لا تتفق وخلقنا. هذا لا يحدث أبداً مع الله، لأنه يتصرّف دوماً على نحو يوافق جوهره القدّوس. وهذا هو مقياس القداسة الذي إليه دعانا الله إذ يقول: "كونوا قديسين لأني أنا قدوس".

وقداسة الله المطلقة يجب أن تكون لنا مصدر تعزية ويقين. فما دام الله كلّي القداسة، فلنا الثقة بأن أفعاله نحونا هي دائماً كاملة وعادلة. قد نُغْزى أحياناً بأن نشكّ في صلاح معاملة الله لنا ونتشكى من ظلمه لنا. هذه هي كذبة الشيطان، تماماً كما كذب على حواء حين قال لها ما فحواه: "إن الله ظالم في معاملته لكما" (تكوين ٣: ٤و٥). لكنه من المستحيل أن يكون الله في جوهره ظالماً، بل لأنّه قدّوس، فكلّ أفعاله مقدسة.

علينا أن نقبل بالإيمان حقيقة قداسة الله، ولو أظهرت ظروف المحن الشاقة عكس ذلك. فالتذمر على الله هو بالفعل نكران لقداسته وعدالته. وقد قال استيفن شرنوك (Stephen Charnock) في القرن السابع عشر: "إنكارك لوجود الله إساءة إليه أخفّ وطأة من إنكارك لطهارته، فالأول تجاهل لحقيقة ألوهته، أما الثاني فيجعله يبدو إلهاً مشوهاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مقيتاً... فمن يقل إن الله ليس قدوساً يرتكب خطيّة، أفظع من خطيّة الذي يقول إنّ الله غير موجود البتة".

وما زلت أذكر بوضوح كيف تعامل الله معي منذ خمسةٍ وعشرين عاماً بشأن التذمّر عليه. فتجاوباً مع إرادته، استقررت في منطقة سان دياغو من ولاية كاليفورنيا وابتدأت بالبحث عن عمل. وبعد مضي بضعة أسابيع دون إحراز أيّ تقدّم، ابتدأت أتهم الله في عقلي: "ها أنا قد تخلّيت عن كل مخططاتي في سبيل تنفيذ إرادته، والآن ها هي النتيجة: لقد خذلتني". ولكن الرب أنعم عليّ إذ لفت انتباهي إلى سفر أيوب ٣٤: ١٨و١٩ "أيقال للملك يا لئيم و للندباء يا أشرار. الذي لا يحابي بوجوه الرؤساء ولا يعتبر موسعاً جميعاً دون فقير. لأنهم جميعهم عمل يديه." فبعد قراءتي لهذا المقطع جثوتُ على ركبتّي معترفاً له بفظاعة خطيتي التي ارتكبتها عندما تذمرت، وشككت في قداسته. فسامحني الله برأفته، وحصلت في اليوم التالي على عرضين للعمل.

والاعتراف بقداسة الله هو طريقة من الطرائق التي ينبغي أن نسبح الله بها. فبحسب رؤيا يوحنا للسماء كما وصفها في الإصحاح الرابع من سفر الرؤيا، فإنّ الكائنات الأربعة الحيّة حول عرش الله لم تكن تكفّ عن القول: "قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شيء الذي كان والكائن والذي يأتي" (رؤيا ٤: ٨). وفي رؤيا أشعياء لمّا شهد مجد الله، سمع أيضاً السرافيم ينسبون إلى الله هذه الصفة ثلاث مرّات إشادة بقداسته (أشعياء ٦: ٣). وعندما كان موسى يسبّح الله على إنقاذ شعب إسرائيل من جيش فرعون، أشاد أيضاً بقداسة الله:

"من مثلك بين الآلهة يا رب من مثلك معتزاً في القداسة. مخوفاً بالتسابيح. صانعاً عجائب" (خروج ١٥: ١١).

كثيراً ما يُدعى الله في الكتاب المقدّس بأسماء تشير إلى قداسته، منها القدوس أو قدّوس إسرائيل[٣]. وبحسب قول آستيفَن شرنوك، فإنّ الصفة "قدّوس" تستعمل أكثر من غيرها في وصف اسم الله. فالقداسة تاج الله. تخيّل لحظة واحدة أنّ الله هو كلّي القدرة (أي أنّ سلطته لا متناهية) وأنّه كلّي المعرفة (معرفته شاملة وكاملة) وأنّه كلّي الوجود (موجود في كل مكان وزمان) ولكن تعوزه القداسة الكاملة. إنّ هذا ينفي صفة الألوهة عنه. فالقداسة كمال سائر السجايا الإلهيّة، لأنّ سلطانه هو سلطان قدّوس، ورحمته رحمة مقدّسة، وحكمته حكمة مقدّسة. إذاً القداسة أكثر من سائر السجايا هي التي تحملنا على تسبيح الله كما يستحقّ.

[٣] راجع مثلاً مزمور ٨٩: ١٨, أشعياء ٤٠: ٢٥, ٤٣: ١٤, هوشع ١١: ٩ حبقوق ٣: ٣, إرميا ٥١: ٥, حزقيال ٣٩: ٧.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لكن الله يطلب منّا أكثر من مجرد الاعتراف بقداسته. فهو يقول لنا: "كونوا قديسين لأنّي أنا قدّوس" وله الحقّ المطلق بأن يطلب القداسة الكاملة من جميع خلائقه العاقلة. ولا يمكن لهذه الحال أن تتبدل فليس معقولاً أبداً أن يتجاهل الشر أو أن يوافق عليه، ولا أن يُخفض، ولو لحظة واحدة، مقياس القداسة الكامل الذي لديه. لذلك لا بدَّ أن يقول بالأحرى ما يقوله فعلاً: "كونوا قديسين في كل سيرة". وكما يعلن النبي حبقوق، فإنّ عينيه تعالى "أطهر من أن تنظرا الشر" وهو "لا يستطيع النظر إلى الجور" (حبقوق ١: ١٣). ولأنّه إله قدوس فهو لا يتغاضى عن أيّة خطيّة نرتكبها مهما بدت لنا بسيطة.

نحاول في بعض الأحيان أن نبرّر لله بعض التصرّفات التي يؤنّبنا عليها ضميرنا. ولكن إذا كنّا ندرك معنى قداسة الله المطلقة، سواء في جوهره أو في ما يطلبه منّا، نرى حالاً أنّه من الصعب تعليل أي انحراف بسيط عن إرادته الكاملة. فلن يقبل الله الذريعة التالية: "طيّب. هذا ما أنا عليه"، أو ذلك التصريح المتفائل "حسناً، ما زلت حديث العهد في هذه الناحية من حياتي".

كلا، فإن قداسة الله لا تتساهل معنا إزاء الهفوات اليسيرة والتقصير في خُلُقنا الشخصيّ. ويحسن بنا، نحن المؤمنين المسيحيين، ولو كنّا قد تبررنا على أساس برّ المسيح وحده، أن نفكّر مليّاً بكلمات كاتب الرسالة إلى العبرانيين: "اتبعوا... القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب" (عبرانيين ١٢: ١٤).

ولأنّ الله قدوس، فهو لا يجربنا كي نقع في الخطية (يعقوب ١: ١٣) "لا يقل أحد إذا جُرّب إني أُجرب من قِبَلِ الله. لأنّ الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحداً." ربما لا أحد منّا يتّصور أن الله يُغرينا بفعل الشر، لكننا نشعر وكأنّه وضعنا في موقف حرج لا خيار لنا فيه.

شعر الملك شاول هذا الشعور إبّان حملته الأولى على الفلسطينيين (١ صموئيل ١٣). وكان عليه قبل خوض المعركة أن ينتظر سبعة أيام قدوم النبي صموئيل ليقدم محرقة ويلتمس إحساناً من الرب. ولمّا انتظر الملك شاول سبعة أيام قدوم صموئيل من دون طائل، اضطرب وتولّى بنفسه تقديم المحرقة. شعر شاول بأنّ لا خيار لديه، إذ دبّ الذعر في قلب الشعب وابتدأ يتفرق، فيما كان الفلسطينيون يرصُّون الصفوف للمعركة، وفات موعد وصول صموئيل. كان عليه أن يتصرف. لقد زجَّه الله في موقف حرج، بدا فيه المخرج الوحيد في عصيان أوامر الله الواضحة. وبعصيانه لإرادة الله الواضحة، خسر مملكته (١ صموئيل ١٣: ١٤). ما هو الحل بالنسبة إلينا؟ أنشعر أحياناً أن لا خيار لنا سوى ستر الحقيقة قليلاً أو ارتكاب مخالفة طفيفة؟ عندما ينتابنا هذا الشعور، فنحن في الحقيقة نُصرّح بأنّ الله يجربنا بالخطيّة، وأنّه هو وضعنا في مأزق لا مناص منه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إنّ الخاضعين لإمرة سواهم هم على الخصوص عرضة للوقوع في هذه التجربة. إذ كثيراً ما يضغط رؤساء العمل على مرؤوسيهم ليرتكبوا تصرفات غير مستقيمة أخلاقيّاً أو غير شريفة. وقد واجهت الإغواء عندما كنتُ ضابطاً شاباً في البحرية. فمقابل كمية قليلة من البن تقدم لأشخاص معيّنين، تتمكّن سفينتنا من الحصول "مجاناً" على أنواع مختلفة من المعدات الأساسية والضرورية لمهمتنا. وكان التعليل لذلك: "في جميع الأحوال، هذه الأشياء كلُّها هي ملك للبحريَّة". فاضطررت آخر الأمر للمثول أمام قائد الوحدة، مجازفاً بمستقبلي في البحرية، معلناً عدم استعدادي للاشتراك في أعمال كهذه.

ولأنّ الله قدوس، فهو يكره الخطيّة. والكراهية كلمة قاسية وصعبة حتى إننا لا نحبّذ استعمالها. فنحن نعنّف أولادنا إذا قالوا إنّهم يكرهون شخصاً ما. ولكن لكي نصف موقف الله من الخطيّة فإنّ كلمة قوية مثل "الكراهية" تعبر عن المعنى بصدق. ولمّا تكلم الله عن مختلف الخطايا في شعبه قال: "لأنَّ هذه جميعها أكرهها" (زكريا ٨: ١٧). إذاً الكراهية هي شعور مشروع تجاه الخطيّة. وفي الواقع أننا نحن أيضاً كلّما نمونا في القداسة ازداد بغضنا للخطية. فقد قال داود في المزامير: "من وصاياك أتفطّن. لذلك أبغضت كل طريق كذب" (مزمور ١١٩: ١٠٤). فإذا كان ذلك شعور إنسان، فكم بالحري شعور الله. حقّاً، كلما نمونا في القداسة ازداد بغضنا للخطية. ولمّا كان الله هو القدوس المطلق، فإنّ بغضه للخطية غير محدود.

نحن نقول عادةً: "الله يكره الخطية لكنه يحب الخاطي". وهذه حقيقة مباركة، لكننا نثب فوق الجزء الثاني. ولكن لا يمكننا الهروب من الواقع الحتمي بأنّ الله يبغض خطايانا. قد نستخفّ نحن بخطايانا أو نلتمس لها عذراً، لكن الله يكرهها.

لذلك كلّ مرة نخطئ نفعل شيئاً يبغضه الله. هو يكره أفكارنا الشهوانية وحسدنا وكبرياءنا، كما يكره حدة انفعالاتنا والتعليل المنطقي الذي نعمل به إذ نقول إن الغاية تبرّر الوسيلة. نحن بحاجة لأن يستولي علينا الفكر بأنّ الله يكره هذه الأشياء كلها. فنحن نعتاد هفواتنا إلى الحدّ الذي يهبط بنا تدريجياً إلى حالة التعايش السلميّ معها، لكن الله لا يتوقّف أبداً عن بغضها.

نحتاج أن ننمي في قلوبنا شعور البغض عينه الذي يكنّه الله للخطيّة. فأساس القداسة الحقيقية هو كره الخطيّة بحد ذاتها، ليس لأنها شيء يقلق سكينتنا أو يحبط عزيمتنا، بل لأنها تحزن الله ولا ترضيه ويجب أن ننمي في نفوسنا موقف يوسف الذي قال عندما تعرض للتجربة: "كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله".

إنّ الله يكره الخطيّة أينما وجدت، في القدّيس أو الخاطئ على السواء. فهو لا يبغض الخطية في قلب إنسان ما ويتغاضى عنها إذا وجدت في إنسان آخر. فهو "يحكم بغير محاباة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حسب عمل كل واحد" (بطرس ١: ١٧). وفي الواقع، فإن البيّنات الكتابية تدل أن الله قد يحكم على قدّيسيه الذين يخطئون، بقساوة لا يعامل بها العالم. فمثلاً كان داود رجلاً حسب قلب الله (أعمال ١٣:٢٢) لكن بعد خطيّته إلى أوريا قال له الرب: "والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد" (٢ صموئيل ١٢: ١٠). وموسى حرم الدّخول إلى أرض كنعان بسبب عمل واحد أظهر عدم الإيمان، رغم السنين الطويلة التي قضاها في الخدمة الأمينة. ويونان بسبب عصيانه زُجّ في سجن مرعب في بطن حوت ضخم ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، كي يتعلم عدم الهرب من أوامر الله.

وقد ننخدع نحن بمكر قلوبنا، فنتهاون أحياناً بأمر التجربة ونعلّل النفس بأن نعترف بالخطيّة في أي حين ثم نلتمس الغفران. وهنا تكمن الخطورة، فإن الله يحكم بغير محاباة، ولا يتغاضى أبداً عن زلاّتنا، ولا يقرر البتّة عدم التدخل إذا كانت الهفوة طفيفة. كلا، فإن الله يبغض الخطيّة بشدة أينما وجدت ومتى وجدت.

إنّ التأمل المستمر بقداسة الله وما تستدعيه من كراهية للخطيّة، رادعاً قوياً دون الاستخفاف بالخطيّة. فنحن نوصى بأن نسير زمان غربتنا بخوف (١ بطرس ١: ١٧). صحيح أن محبة الله لنا بابنه يسوع المسيح يجب أن تكون الحافز الأساسي لنا على طلب القداسة، ولكن في بُغض الله للخطية وما يستدعيه من حكم صارم عليها، حافزاً قوياً أيضاً وليس أقل اتصافاً بالصفة الكتابية.

إن قداسة الله هي مقياس سامٍ وكاملٌ إلى التمام، ومع ذلك يبقى هو المقياس الذي يلزمنا الله إياه. ولا يعقل أن يطلب منّا أقل من ذلك. صحيح أن الرب يقبلنا بمجرد استحقاق المسيح، لكن قياس الله لأخلاقنا ومواقفنا ومشاعرنا وتصرفاتنا يبقى هو ذاته: "كونوا قديسين لأنيّ أنا قدوس"، ويجب أن نأخذ هذه الوصية على محمل الجد إذا ابتغينا النمو في حياة القداسة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثالث

لا بديل من القداسة

"اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب" (عبرانيين ١٢: ١٤).

ما معنى هذه العبارة "القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب"؟ ألعلّ خلاصنا في آخر المطاف متوقف إلى حد ما على ما توصلنا إليه من قداسة شخصية؟

حول هذا السؤال تبدو كلمة الله واضحة تماماً في نقطتين: أولاً، أن أفضل مسيحي لا يستحق الخلاص من جراء قداسته الذاتية. لأن كل أعمال برنا "كثوب عدة" أمام نور الشريعة الإلهية المقدسة (أشعياء ٦٤: ٦). فإن أفضل أعمالنا تدنسها وتلوثها النقائض والخطيّة. وقد وصف هذا الواقع أحد قدّيسي القرون الماضية بالكلمات التالية: "يجب علينا أن نغسل حتى دموع توبتنا بدماء الحمل".

ثانياً، إن كلمة الله تشير مرة بعد مرة إلى إطاعة المسيح وبرّه لأجل مصلحتنا، "لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً" (رومية ٥: ١٩)، "فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من اجل الخطايا البارّ من أجل الآثمة لكي يقرّبنا إلى الله" (١ بطرس ٣: ١٨).

ويدّل هذان العددان على ناحيتين لعمل المسيح من أجلنا، يشار إليهما غالباً بوصفهما طاعته العملية وطاعته المذعنة أو المستسلمة.

والطاعة العملية تعني حياة المسيح البارّة على أرضنا هذه، طاعته اللا محدودة وقداسته الشاملة الكاملة. وهذه الحياة المثالية هي رصيدٌ لكل الذين يتّكلون عليه لأجل خلاصهم. أما طاعة المسيح المذعنة فتظهر في موته على الصليب حيث أدى قصاص خطايانا كاملاً وهدّأ غضب الله علينا. ونقرأ في الرسالة إلى العبرانيين ١٠: ٥-٩ أن المسيح جاء ليفعل مشيئة الآب ومن ثم يقول الكتاب: "فبهذه المشيئة نحن مقدّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة" (عبرانيين ١٠: ١٠). وهكذا يتبين لنا أن قداستنا أمام الله تعتمد كلّياً على عمل المسيح من أجلنا وفقاً لمشيئة الله.

إذاً هل تشير الآية في العبرانيين ١٢: ١٤ إلى القداسة التي نكسبها على يد يسوع المسيح؟ كلا، لأن الكتاب يتكلّم في هذا السياق عن القداسة التي يجب أن نجاهد من أجلها،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

علينا "أن نبذل كل جهد لنكون قديسين". من دون هذه القداسة لن يرى أحد الرب، كما يقول الكاتب.

يتحدث الكتاب المقدس عن نوعين من القداسة: تلك التي لنا في المسيح أمام الله، والأخرى التي يجب أن نسعى وراءها. وهذان الوجهان من القداسة يكمّل أحدهما الآخر، لأن خلاصنا هو الخلاص من أجل القداسة: "لأن الله لم يدعنا للنجاسة بل في القداسة" (١تسالونيكي ٤: ٧). ويكتب الرسول بولس إلى أهل كورنثوس: "إلى كنيسة الله التي في كورنثوس المقدّسين في المسيح يسوع المدعوّين قديسين" (١ كورنثوس ١: ٢). والمعنى أننا قدّسنا في المسيح لننال مقاماً أمام الله، ونحن مدعوّون لنكون قديسين في حياتنا اليومية.

هكذا يحثنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن نأخذ بعين الاعتبار أهمية القداسة العملية والشخصية. وعندما يأتي الروح القدس إلى حياتنا عندما نحصل على الخلاص فإنما يأتي لكي يقدسنا عملياً. وعليه، فإذا لم يكن في قلوبنا حتى شوق لنحيا حياة مقدسة ترضي الله، فيجب علينا أن نساءل أنفسنا بجديّة: هل إيماننا بالمسيح أصيل غير زائف؟

الحق يقال إن هذه الرغبة في القداسة قد تكون مجرد شرارة في البداية، لكن هذه الشرارة ينبغي أن تنمو حتى تصبح شعلة، شعلة التوق الشديد إلى عيش حياة مقدسة ترضي الله إرضاءً تاماً. فالخلاص الحقيقي تصحبه رغبة صادقة في التقديس. إذ عندما يخلّصنا الله بالمسيح، فهو لا يخلّصنا فقط من عقاب الخطيّة بل يحررنا أيضاً من سيادتها. ويقول الأسقف رايل في هذا الموضوع: "في الواقع إني أرتاب في جواز التصريح بأنّ إنساناً ما قد يحصل على التجديد دون أن يتكّرس للرب. لا شك أنه سيزداد تكريساً كلما نما في النعمة لكنه إذا لم يقف نفسه لله في اليوم عينه الذي فيه تجدد ووُلِدَ ثانيةً، فأنا لا أفهم كيف يكون قد تجدد".

فإنَّ غرض خلاصنا برمّته أن نكون: "قدّيسين وبلا لوم قدّامه" (أفسس ١: ٤). فإذا استمر المسيحي في العيش في الخطية فهو يعاكس غرض الله الأساسي من خلاصنا. وقد وصف أحد الكتّاب هذا الأمر منذ ثلاثة قرون بالكلمات التالية: "أي نوع غريب من الخلاص يبتغيه هؤلاء الذين لا يعيرون القداسة أي اهتمام... فهم يريدون أن يخلصوا بواسطة المسيح لكن يبقون خارج المسيح يتصرفون بحسب الجسد... يودّون أن يحصلوا على مغفرة خطاياهم، لا كي يسيروا من ثم مع الله في المحبة، بل كي يمارسوا عداوتهم له دون أي خوف من العقاب."

إذاً القداسة ليست ضرورية كشرط للخلاص، وإلاّ كان ذلك خلاصاً بالأعمال، ولكنها لازمة كجزء من الخلاص الذي ننالة بالإيمان في المسيح. وقد قال الملاك ليوسف:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"وتدعو اسمه يسوع لأنّه يخلّص شعبه من خطاياهم" (متى ١: ٢١). ومعلوم أن معنى "يسوع" هو "يهوه (الرب) هو الخلاص".

على ذلك يمكننا القول أن لا أحد يضع ثقته في المسيح لينال الخلاص الحقيقي إلاّ إذا وثق به في أمر القداسة. وهذا يعني أن الشخص يجب أن يعي هذا التوق إلى القداسة في الوقت الذي يُقبل فيه إلى المسيح، بل بالحري أن الروح القدس الذي يخلق فينا الإيمان المخلّص هو أيضاً يخلق في دواخلنا الرغبة في القداسة. فهو بكل بساطة. لا يُوجد ذاك الإيمان دون هذه الرغبة، ولا هذه دون ذاك.

ويقول الرسول بولس: "لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر" (تيطس ٢: ١١و ١٢). فالنعمة التي تؤتي الخلاص هي عينها التي تعلمنا أن ننبذ حياة الفجور والإثم، وليس بإمكاننا أن نقبل نصف نعمة الله. فإذا كنا اختبرنا هذه النعمة بالفعل، فإننا لن نختبر فقط غفران خطايانا بل أيضاً التحرر من سلطة الخطيّة.

هذه خلاصة المقطع الصعب حول الإيمان والأعمال في رسالة يعقوب (٢: ١٤-٢٦) حيث نفاد بكل بساطة أن "الإيمان" الذي تنتج منه أعمال، أي بعبارة أخرى لا يفضي إلى حياة القداسة، لا يكون إيماناً حياً بل ميتاً، لا فرق بينه وبين إيمان الشياطين.

إن طبيعة الله تقتضي أن يحيا المؤمنون المسيحيون حياة القداسة فهو عندما يدعونا للخلاص، يدعونا أيضاً للشركة معه ومع ابنه يسوع المسيح (١ يوحنا ١: ٣). ولكن الله نور، وليس فيه ظلمة البتة (١يوحنا ١: ٥) فكيف يمكن أن تكون لنا شركة معه إذا داومنا على السلوك في الظلمة؟

فالقداسة إذاً تقتضيها الشركة مع الله. وقد طرح داود هذا السؤال: "يا رب من ينزل في مسكنك. من يسكن في جبل قدسك" (مزمور ١٥: ١)، وتأويله: "يا رب، من يتسنى له أن يعيش في شركة معك؟" وبإمكاننا أن نوجز الجواب الذي يقدم في الأعداد الأربعة التالية من ذلك المزمور بما يلي: "هو من يحيا حياة القداسة".

إن الصلاة عنصر أساسي في شركتنا مع الله، إلا أنّ المرنم يقول: "إن راعيت إثماً في قلبي لا يستمع لي الرب" (مزمور ٦٦: ١٨). فمراعاة الإثم هو أن أتعلق بخطية ما، أن أحبها إلى حد لا أعود معه قادراً على التخلي عنها. أعرف أن هذه الخطيّة موجودة لكنني أبررها بطريقة أو بأخرى، كذلك الطفل الذي يقول: "لكنه هو ضربني أولاً". وتعلُّقنا بخطيّة معينة، يعني أننا لسنا بصدد السعي وراء القداسة ولا يمكن أن تكون لنا شركة مع الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والله لا يتطلب حياة كاملة خلواً من الخطيّة ليعطينا حق الشركة معه، لكنه يطلب منا أن نكون جديين في موضوع القداسة، أن نحزن على الخطيّة في حياتنا بدلاً من أن نسعى لتبريرها، وأن نتبع القداسة بكل شوق نمطاً لحياتنا. والقداسة أيضاً مطلوبة لسلامتنا الشخصية، إذ تقول كلمة الله: "لأن الذي يحبه الربّ يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله" (عبرانيين ١٢: ٦).

وهذا القول ينطلق من كوننا نحتاج إلى التأديب، لأن الله لا يؤدبنا اعتباطياً. فهو يؤدبنا لأننا نحتاج إلى التأديب.والإمعان في طريق العصيان يزيد حاجتنا للتأديب.فإن بعض المؤمنين المسيحيين في كورنثوس أمعنوا في العصيان حتى لم يكن مفرٌّ من أن يعدمهم الله الحياة (١ كورنثوس ١١: ٣٠).

ويصف داود تأديب الرب على النحو التالي: "سكتُّ بليت عظامي من زفيري اليوم كله. لأن يدك ثقلت عليّ نهاراً و ليلاً. تحوّلت رطوبتي إلى يبوسة القيظ" (مزمور ٣٢: ٣ و٤).

فعندما يضع الله إصبعه على خطيّة معيّنة في حياتنا، علينا أن نعيره انتباهنا ومن ثم نتصرف وفقاً لإرادته تعالى. والتقصير في معالجة هذه الخطيّة هو مجازفة تعرضنا للوقوع تحت يدّه المؤدبة. ففي صبيحة يوم بارد بينما أنا متوجه إلى الطريق الخاصة التي تؤدي إلى المركز الرئيسي لجمعية "الملاحون" حيث أعمل، انزلقت سيارتي دون أن أتمكن من السيطرة عليها، وارتطمت بعمود في زاوية سياج. ويبدو أن هنالك شخصاً آخر وقع في المأزق عينه سابقاً، وأحدث التواء في العمود، وما فعلته أنا كان زيادة الالتواء. ورغم صوت الله الناعم الذي كان يحثّني، كتمت الأمر عن صاحب ذلك العقار. وبعد مضي أسبوعين جرى لي حادث طفيف أخر. فعلمت حينئذ أن الله كان يحاول أن يسترعي انتباهي، لأنني خلال خمس عشرة سنة من قيادة السيارات لم أكن قد تعرضت لحادث واحد، فاتصلت بصاحب ذلك العقار وأطلعته على حادثي الأول وعرضت عليه أن أتولى دفع الأكلاف لقاء إصلاح عمود السياج. وكما قال بطرس: "سيروا زمان غربتكم بخوف" (١ بطرس ١: ١٧). فالله يعني ما يقوله في موضوع القداسة في حياة شعبه، وهو سيرّبنا لإحراز هذه القداسة.

والقداسة ضرورية أيضاً للخدمة الفعالة في حقل الله. فقد كتب بولس إلى تيموثاوس: "فإن طهّر أحد نفسه من هذه يكون للكرامة مقدساً نافعاً للسيد مستعداً لكل عمل صالح" (٢ تيموثاوس ٢: ٢١). فالقداسة والأهلية للخدمة أمران مترابطان معاً، فلا يمكن أن نقدّم خدمتنا لله في إناء غير طاهر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أما الذي يجعل من خدمتنا خدمة فعّالة ويقّدرنا عليها فهو الروح القدوس. ولننتبه جيداً إلى التسمية فهو الروح القدس أو روح القداسة. فعندما نطلق العنان لطبيعتنا الساقطة نقيم على نجاسة، يحزن روح الله القدوس (أفسس ٤: ٣٠) ولا يؤتينا النجاح في الخدمة. ولست أعني هنا الحالات وحالاً نلتمس الصفح والغفران من لدن الله، إنما أقصد السيرة الخاصة التي تتصف بكونها حياة غير مقدسة.

والقداسة أمر حيوي لازم لتوكيد خلاصنا في لحظة التجديد عينها بل في مجرى حياتنا كله. إن الإيمان الحقيقي لا بد أن يظهر ذاته بثماره: "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة" (٢ كورنثوس ٥: ١٧).

أذكر شاباً يافعاً اهتدى إلى الإيمان بالمسيح وهو يعيش مستقلاً عن والده، وكان يتوقّع أن يزوره والده بعدما مضت بضع سنوات لم يره خلالها، كان توّاقاً ليطلع والده على اختباره للإيمان، وصلينا معاً طالبين أن يكون شاهداً فعّالاً أمام والده.

وبعد عدة أيام سألته ماذا حصل عندما أدّى شهادته فأخبرني أن والده ادّعى أنه قد سلّم حياته للمسيح وهو في العاشرة من عمره عندما "تقدّم نحو المنبر" خلال حملة تبشيرية. هل لمست أية بيّنة على أن والدك كان مسيحياً مؤمناً؟" قال: "لا". كان يناهز الستين من عمره ولم يقدّم لابنه ولو مرة واحدة، دليلاً على حقيقة مسيحيّته.

إن السيرة المقدسة هي وحدها البرهان السليم الذي يثبت أننا في المسيح. ويقول الرسول يوحنا أن كل من عنده رجاء الحياة الأبدية يطهّر نفسه كما أن المسيح طاهر (١ يوحنا ٣: ٣). أما بولس فقد قال: "لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رومية ٨: ١٤). حتى لو لم تكن لدينا ذرة من القداسة، فإننا قد نغشّ أنفسنا بتوهّمنا أننا مسيحيون حقيقيون، ولكن لا يكون روح الله القدّوس ساكناً فينا. فإذاً يجب على كل من يدّعي أنه مسيحي أن يسأل نفسه هذه السؤال: "أفي حياتي براهين عملية على القداسة الحقيقة؟ هل أنا راغبٌ في القداسة وجادٌّ في إثرها؟ هل أحزن لافتقاري إليها وأطلب بكل جدّ معونة الله أحيا قديساً؟"

لن يدخل السماء من يعترفون بأنهم يعرفون المسيح، بل بالحري من كانت حياتهم مقدسة. حتى الذين ينجزون "أعمالاً مسيحية عظيمة" لن يدخلوا السماء ما لم يعملوا أيضاً بمشيئة الله. فقد قال يسوع: "ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبّأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة. فحينئذ أصرّح لهم أني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" (متى ٧: ٢١- ٢٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الرابع

قداسة المسيح

"لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا لنصير نحن برّ الله فيه" (٢كورنثوس ٥: ٢١).

قبل المضي في الحديث عن القداسة في حياتنا، يحسن بنا أن نتأمل في قداسة المسيح. فنحن بحاجة إلى هذا في المقام الأول كي نكون راسخين بكل ثبات في الإيمان الذي لنا في المسيح. وكلما تعمقنا في دراسة مضامين الوصية "كونوا قديسين لأني أنا قدوس"، رأينا بوضوح بشاعة طبيعتنا الساقطة، ورأينا شر قلوبنا وخداعها وإلى أي مدى نفتقر إلى القداسة الكاملة التي تليق بالله. حتى إذا حصل ذلك، فإن المسيحي الحقيقي يخفّ بكل جوارحه ملتجئاً إلى المسيح. ولذلك فمن المهم جداً أن نعي برّ المسيح وحقيقة كون هذا البرّ مقيداً في حسابنا.

تشهد كلمة الله، في مناسبات عديدة، أن يسوع خلال وجوده على أرضنا هذه عاش حياة مقدسة بكل ما في الكلمة من معنى. فنراه يوصف تارة بأنّه "بلا خطية" (عبرانيين ٤: ١٥) وطوراً بأنه "الذي لم يفعل خطية" (١بطرس ٢: ٢٢) أو الذي "لم يعرف خطية" (٢كورنثوس ٥: ٢١).

ويصرح الرسول يوحنا بقوله أن ليس فيه خطية (١يوحنا ٣: ٥). كما يصف العهد القديم يسوع بأنه "البار" (أشعياء ٥٣: ١١) والذي أحب البرّ وأبغض الإثم (مزمور ٤٥: ٧). هذه التصريحات المقتبسة من ستة كتّاب مختلفين من كتبة الكتاب المقدس، تدل على أن برارة يسوع وبراءته من الخطية تعليم يجمع عليه الكتاب المقدس كله.

على أن ما يفرض نفسه بقوة هو شهادة يسوع عن نفسه ففي إحدى المناسبات وقف وجهاً لوجه أمام الفريسيين وسألهم: "من منكم يبكّتني على خطية؟" (يوحنا٨: ٤٦). وقد علق أحدهم على هذه الحادثة قائلاً: لا تكمن الأهمية هنا في أن الفريسيين أخفقوا في الإجابة بل بالحري في كون الرب قد طرح هذا السؤال بكل جسارة، لا سيما وهو في مواجهة مباشرة مع أناس يكنّون له الكراهية. إلى ذلك فقد أخبرهم أنهم من أب هو إبليس وشهوات أبيهم يريدون أن يعملوا. وبالطبع فلو كان لأي منهم ما يدعوه لأن يلفت نظر الرب إلى أي تصرف طائش صدر عنه، أو أي عيب في خلقه الكامل لكان بادر إلى كشفه. أضِف أن يسوع طرح هذا السؤال أمام تلاميذه الذين كانوا برفقته دوماً ولديهم الفرص

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكافية لملاحظة أي مأخذ على سيرته لو وجد. مع ذلك أقدم المسيح على طرح هذا السؤال لأنه علم أن هناك جواباً واحداً: إنه بلا خطية.

إلا أن قداسة يسوع هي أكثر من مجرد خلوّ سيرته من أية خطية فعلية. إنها أيضاً الموافقة التامة لإرادة أبيه. فقد صرّح بأنه نزل من السماء "ليس لأعمل مشيئة الذي أرسلني" (يوحنا ٦: ٣٨). وقال في مناسبة أخرى: "طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني" (يوحنا ٤: ٣٤). ولعل أعظم شهادة لقداسته التامة ما قاله في يوحنا ٨: ٢٩، "لأني في كل حين أفعل ما يرضيه".

هذا التصريح غير القابل للنقص، لا بد أن يتضمن لا التصرفات وحدها بل المواقف والدوافع أيضاً. فمن الممكن أن نتصرف نحن حسناً ولكن بحافز غير صالح، وهذا لا يرضي الله. فالقداسة هي أكثر من تصرّفات وأعمال مجرّدة إذ يجب أن تكون دوافعنا أيضاً مقدّسة، أي إنّها تنبع من رغبةٍ في عمل الشيء فقط لأنّه يوافق إرادة الله. ويجب أن تكون أفكارنا مقدّسة، ما دام الله يعرفها حتى قبل أن تتكوّن في عقولنا. وفي يسوع المسيح بكل هذه المقاييس وفاءً كاملاً، وقد فعل ذلك نيابةً عنّا. فقد جاء إلى هذا العالم مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس (غلاطية ٤: ٤و٥).

وكلّما تأمّلنا بجدّية في قداسة الله، تكون ردّة فعلنا الطبيعية ما قاله أشعياء: "ويل لي إني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عينيَّ قد رأتا الملك ربَّ الجنود" (أشعياء ٦: ٥).

والنظرة الجدية إلى قداسة الله، أي كماله الأدبي ومقته اللا متناهي للخطية، لا بد أن تحدث فينا ما أحدثته في أشعياء، فيتبيّن لنا افتقارنا الكلّي إلى القداسة ونطأطئ الرأس خجلاً. إذ من شأن طهارته الأدبية أن تفضح نجاستنا الذاتية أيمَّا فضح.

وعلى ذلك فمن الضروري أن نحصل على التأكيد عينه الذي حصل عليه أشعياء: "انتُزع إثمك وكُفِّر عن خطيتك" (أشعياء٦ :٧). ونحن لا نحتاج إلى هذا التوكيد فقط في مستهلّ حصولنا على الخلاص، بل إننا كلما نمونا في القداسة، احتجنا في الواقع أكثر فأكثر إلى هذا التأكيد: إنّ برّ المسيح الكامل محسوب لنا شرعاً. وهذا صحيح لأنّ ناحية من نواحي النمو في القداسة يجعلنا ندرك حاجتنا الماسة إلى القداسة. وعندما نعي هذه الحاجة، يحسن بنا أن نبقي في أذهاننا دوماً برّ يسوع المسيح الذي أسبغه الله علينا حيث: "جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن برّ الله فيه" (٢ كورنثوس ٥: ٢١).

وهذا الحق بأنّ الله يقبلنا على أساس برّ المسيح قد يبدو من مبادئ الإيمان الابتدائية بحيث يتساءل بعضكم لماذا أشدّد هنا على هذه الناحية. والسبب هو أننا نحتاج أن ننعم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

النظر في هذه الحقيقة كي نحبط هجمات إبليس. فالروح القدوس إنما يجعلنا ندرك نقصنا الذاتي في القداسة حتى يحثنا على التوق أكثر إلى القداسة والجهاد لإحرازها عملياً. لكن إبليس سيحاول استخدام عمل الروح القدس لتثبيط عزائمنا.

من حيل إبليس الهجومية أن يحاول إقناعك بأنك لست مسيحياً حقيقياً على الإطلاق. فيهمس في إذنك مُوَسْوِساً بمثل هذا القول: "المسيحي الحقيقي لا يفكر الأفكار الشريرة التي دارت في خلدك اليوم." ومن الممكن أن الشيطان ما كان ليأتي إليك بمثل هذا الإيهام قبل ستة أشهر لأنّ هذه الأفكار لم تكن تزعج خاطرك آنذاك. لكن الآن وقد بدأ الروح القدس يكشف النقاب عن مدى فظاعة أفكارك الدائرة حول الشهوة والغلّ والكبرياء، قد تساورك الشكوك في أمر خلاصك.

منذ عدة سنوات، سمح الله بـأن أجتاز مرحلة من الصراع الداخلي ليوضح لي مدى شرّ قلبي. كنت في تلك الأثناء أتولّى القيادة في اجتماع أسبوعي لدرس الكتاب المقدس في قاعدة عسكرية تبعد مسافة ساعة بالسيارة من مكان سكني. وفي مساء كل اثنين، عندما كنت أترك اجتماع درس الكتاب وأبدأ رحلتي الموحشة نحو البيت، كان إبليس يبادر إلى مواجهتي بسؤاله: "كيف يعقل أن شخصاً يواجه صراعاتك الداخلية يكون مسيحياً حقاً؟" فلجأت إلى محاربته بواسطة ترنيمة تبشيرية قديمة مطلعها:

كما أنا آتي إلى

فادي الورى مستعجلا

إذ قلت نحوي أقبلا

يا حمل الله الوديع

فكنت أنشد هذه الترنيمة بأكملها، ولدى وصولي إلى المقطع الأخير، كنت أبدأ بتسبيح الله من أجل خلاصه الموهوب لي مجاناً في يسوع المسيح.

وأنت أيضاً، إذا كنت تسعى باجتهاد نحو القداسة، عليك أن تلجأ باستمرار إلى صخرة خلاصك، تلتجئ إليه لا لكي تخلص ثانية بل لتتيقّن في قلبك أنك مخّلص عل أساس برّه ليس غير. وعندئذ تقف في صف بولس عندما يقول: "صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلّص الخطاة الذين أولهم أنا" (١ تيموثاوس ١: ١٥). عند هذه المرحلة، تصير حياة يسوع التي عاشها في القداسة الكلّية لأجلك ذات أهمية بالغة في نظرك. داعٍ آخر يدعونا لأنن نأخذ بعين الاعتبار قداسة المسيح هو أن من أهداف حياته الطاهرة أن تكون مثالاً لنا في القداسة. فيقول الرسول بطرس أن المسيح ترك مثالاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لنا لكي نتبع خطواته (١بطرس ٢: ٢١). وبطرس يتحدث هنا بشكل خاص عن احتمال المسيح للآلام بصبر، ولكنه يورد في العدد التالي أن المسيح لم يفعل خطية. ويحثّنا الرسول بولس أن نكون متمثلين بالله (افسس ٥: ١) ويقول أيضاً: "كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح" (١ كورنثوس ١: ١١).

من الطبيعي إذاً أن تكون حياة يسوع المسيح الخالية من الخطيّة مثالاً لنا، فتأمل قوله: "لأني في كل حين أفعل ما يرضيه".

أنعتبر هذا هدفاً شخصياً لنا في الحياة؟ أنحن مستعدّون حقيقةً للتدقيق في نشاطاتنا وأهدافنا و مشاريعنا وتصرّفاتنا التي نندفع فيها، وذلك في ضوء هذا التصريح: "أنا أفعل هذا إرضاءً لله"؟

إذا واجهنا هذه المسألة بكل صدق ظهرت علينا إشارات الارتباك. نحن نعلم أننا نقدم على أعمال حسنة لنحظى بالإعجاب أكثر من حرصنا على تمجيد الرب، كما نقدم على أعمال أخرى إرضاءً لذواتنا ودون أدنى اعتبار لمجد الله.

ماذا تكون ردّة فعلي عندما يزعج ابن الجيرة المتنمّر طفلي الصغير؟ غريزتي تدفعني إلى الانتقام ولكن الروح القدس يذكّرني بيسوع مثالاً لي. كيف ننظر إلى الذين لا يبدون لنا المودة؟ أنعتبرهم أشخاصاً مات المسيح لأجلهم أم مكدّرين ينغّصون حياتنا؟

أتذكّرُ اجتماع عمل مزعجاً مع شخص صار في ما بعد مؤمناً مسيحياً بواسطة شهادة آخر. فلما علمتُ بالأمر حزنت جداً لأني أفكّر به كإنسان مات المسيح من أجله، بل كشخص أزعجني في يوم من الأيام. إننا نحتاج لأن نتعلم كيف نقتدي بمثال المسيح الذي كان يفيض شفقة وعطفاً على الخطاة، مصلياً من أجلهم حتى وهم يسمّرونه على صليب الجلجثة.

قال جان براون (John Brown) عالم اللاهوت الاسكتلندي الذي عاش في القرن التاسع عشر: "ليس قوام القداسة مجموعة من التأمّلات والأفكار الصوفية، أو الاندفاعات الحماسية المتقدة أو التقشف المفرط. إنما هي بالحري أن نفكر بما يفكر الله به وأن نريد ما يريده هو". ولا تعني القداسة أيضاً، كما يتوهّم بعضهم التزام قائمة من المحرّمات والمحلّلات ترجح فيها كفة المحرّمات.

فلما جاء المسيح إلى هذا العالم، قال: "هئنذا أجيء...أعمل مشيئتك يا الله" (عبرانيين ١٠: ٧). هذا هو المثال المطلوب منا أن نقتدي به. فينبغي أن يكون المبدأ السائد الذي يحثنا ويقودنا في كل أفكارنا وتصرفاتنا، وفي كل جزء من خلقنا، هو الرغبة الملّحة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في أن نتمثل بالمسيح في عمل مشيئة الآب. وهذا السبيل المستقيم الوحيد الذي يجب أن نسير فيه ونحن نسعى في أثر القداسة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الخامس

انتقال من مملكة إلى مملكة

"عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطيّة كي نعود نستعبد أيضاً للخطية. لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية" (رومية ٦: ٦ و ٧).

طالما رغب الكثيرون من المؤمنين المسيحيين في أن يحيوا حياةً مقدّسة، لكنهم باتوا يعتقدون أن ذلك صعب المنال، إذ جاهدوا سنين عديدة في محاولة للتغلب على بعض الخطايا أو النقائض الخُلُقية. وفي حين لا يتورّطون في خطايا فادحة فاضحة، فقد أقلعوا عن أية محاولة للعيش في القداسة واستقروا على حياة أخلاقية ضحلة المستوى لا ترضي الله ولا ترضيهم. ويبدو الوعد الوارد في رومية ٦: ٦و٧ بعيداً كل البعد عن متناول أيديهم. أما ما تتضمنه كلمة الله من وصايا صريحة تحثُّ على حياةٍ مقدسة في كل شيء فذاك يعمل فقط على تثبيط عزائمهم.

وقد جدَّ الكثيرون في طلب حياة القداسة بقوة إرادتهم الذاتية، فيما التمسها الآخرون بالإيمان وحده. وقد جاهد الكثيرون في الصلاة للتغلب على خطية معيّنة، ولكن دون فائدة. كما قد كُتبت عشرات الكتب لمساعدتنا على اكتشاف سر الحياة المنتصرة.

في بحثنا عن حلول لمشاكل الخطية التي نعاني، يواجهنا سؤال عسير: "فيمَ أعتمد على الله وأين تقع مسؤوليتي الذاتية؟" إذ في بداية حياتنا المسيحية نظن بكل ثقة أننا سنكتشف بسهولة ما يريده الله لنا في كلمته المقدسة، ومن ثم نعمل بموجب إرادته. ولكننا نخفق إذ لا نحسب حساب ميلنا إلى التعلّق بسُبلنا القديمة الخاطئة.

وبعد اختبار جولات من الفشل الذريع في مصارعة طبيعتنا القديمة، نجد من يقول لنا أننا حاولنا أن نعيش الحياة المسيحية بقوة الجسد، وأننا نحتاج إلى "الكفّ عن المحاولة، والبدء بالاتكال" أو يقال لنا: "تخلَّ عن هذا واسمح لله أن يعمل". ورُبَّ قائل أننا إذا سلّمنا مشكلتنا مع الخطية إلى المسيح واسترحنا على عمله التام فوق الجلجثة، فلا بدَّ أن يحيا حياته فينا فنختبر حياة النصرة على الخطية.

بعد فشلنا وخيبات أملنا في محاربة الخطية، تفرح قلوبنا عندما نسمع أن الله قد أتمَّ العمل، وما علينا نحن سوى أن نستريح على عمل يسوع الكامل. فبعد الجهاد المرير ضد الخطية إلى حد اليأس، تظهر هذه الفكرة الجديدة كأنها حبل نجاة للغريق، ويكاد وقعها أن يكون كوقع سماعنا لبشارة الخلاص أوّل مرّة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لكن إذا كنّا صادقين مع أنفسنا، سوف نكتشف بعد فترة أننا ما زلنا نختبر الهزيمة على يد طبيعتنا القديمة الساقطة. ويبدو لنا أن النصر الذي وُعِدنا به ما زال يراوغنا. ما زلنا نتصارع مع الكبرياء والحسد والمادية فضلاً عن الشهوات وعدم الصبر والاحتمال. وما زلنا نتهالك على تناول الأطعمة بكثرة، ونضيع الوقت سدى، وننتقد بعضنا بعضاً، ونحجب الحقيقة قليلاً، ونطلق العنان لجملة من الخطايا، كل هذا ونحن نعاف أنفسنا دائماً لهذه الأعمال عينها.

ثم تأخذنا الحيرة ونسأل النفس: "ما خطبي؟ لماذا أنا عاجزٌ عن اختبار النصرة التي تستفيض في وصفها بعض الكتب ويبدو أن الآخرين قد اختبروها؟" ويتسرب إلينا شعور بأن لدينا نحن خطأً فادحاً بصورة مميزة، كأن تكون طبيعتنا الساقطة مثلاً أكثر شراً من طبيعة الآخرين، فيدبّ فينا اليأس.

منذ سنوات خلت نبّهني أخ مسيحي مؤمن إلى أن الشيطان سيحاول أن يشوشني في موضوع ما فعله الله من أجلنا وما يجب أن نعمله نحن. وقد أدركت فعلاً كم كان نافذ البصيرة عندما نبّهني إلى ذلك. فالجهل السائد حول هذا الموضوع أفضى بالكثيرين إلى الارتباك والحيرة في السعي وراء القداسة. فمن المهم جداً أن نعي وجه الاختلاف هنا: إن الله قد أعدّ لنا العدّة لكي نسلك في القداسة، ولكنه أيضاً ألقى على عواتقنا مسؤوليات محددة.

فلنلق أولاً نظرة على ما أعده الله لنا. نقرأ في الكتاب المقدس: "إذاً لا تملكن الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته" (رومية٦: ١٢). وأول أمر يجب ملاحظته في هذه الآية هو أن السعي وراء القداسة فعل يجب أن نقوم نحن به (أي لا نسمح للخطية أن تملك في جسدنا). فقول بولس هذا هو من باب الحضّ والنصح. فهو يوجّه الخطاب إلى إرادتنا الشخصية إذ يقول: "لا تملكن الخطية"، مما يعني أن هذه الأمر يقع ضمن نطاق مسؤوليتنا. فاختبار القداسة ليس هبة نحصل عليها مثل هبة التبرير، بل بالحري أمر نحثّ حثاً صريحاً على العمل لأجله.

والأمر الثاني الذي تجب ملاحظته هو أن تحريض بولس هذا يرتكز على ما قاله سابقاً. فلننتبه إلى الوصول في حرف الجواب "إذاً". لما سبق أن قلته لتوي، "لا تملكن الخطية في جسدكم المائت". بتعبير آخر: علينا أن نسعى في إثر القداسة بسبب بعض الحقائق.

ما هي هذه الحقائق؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لنلق نظرة على رومية ٦، نجد أنه جواباً عن السؤال: "أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة؟" يقول بولس: "نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها" (العددان ١ و٢)، ثم يفصل هذه الفكرة في الأعداد ٣-١١. فمن الواضح أن الكلمة "إذاً" (العدد ١٢) تشير إلى واقع كوننا متنا عن الخطية، فلأننا متنا عن الخطية، يجب ألاّ ندعها تملك أبداً في جسدنا الفاني.

وإنه لأمرٌ حيوي أن نفهم ما يعنيه بولس في العبارة "متنا عن الخطية"، إذا رغبنا في العمل بهذه النصيحة المؤكدة. فلدى قراءتنا هذا الفصل نرى أن موتنا عن الخطية هو نتيجة لاتحادنا مع المسيح (الأعداد ٢_١١). لأنه هو مات عن الخطية، متنا نحن أيضاً عنها. وعلى ذلك، فمن الجلي أن موتنا عن الخطية ليس من عملنا بل هو أمر أتمه المسيح، وقيمة هذا العمل تصح شرعاً على جميع الذين اتحدوا معه.

ملاحظة ثانية يمكن استنتاجها وهي أن موتنا عن الخطية حقيقة واقعة، أدركنا ذلك أم لم ندركه. فلأن المسيح مات عن الخطية، فكل الذين اتحدوا به ماتوا عنها. وموتنا هذا عن الخطية ليس نتيجة عمل نقوم به أو نحققه في اختباراتنا بمجرد أن نحسب أنه هكذا، وقد أساء بعضهم فهم هذه النقطة، إذ فهموا بطريقة من الطرق أن موتنا عن الخطية معناه أننا أصبحنا بمنأى من قدرة الخطية على المسّ بنا. ولكن لكي نختبر هذا في حياتنا اليومية، كما نفاد هنا، ينبغي لنا أن نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية (العدد ١١). ثم نفاد، من بعد، أننا إذا كنا لا نختبر النصر على الخطايا المحدقة بنا، فمعنى ذلك أننا لا ندخل في الحسبان كوننا قد متنا حقاً عن الخطية.

علينا بالفعل أن نحسب (نعتبر أو نعدّ) أنفسنا أمواتاً عن الخطية، لكن هذا الحسبان لا يجعل الأمر واقعاً ملموساً في اختباراتنا. فمن الواجب أن نفهم العددين ١١و١٢ وباعتبارهما مقرونين معاً. فلأننا أموات عن الخطية باتحادنا مع المسيح، لذلك يجب ألا تملك الخطية في جسدنا المائت. فاختبارنا اليومي في ما يختص بالخطية لا يحدده حسابنا بل إرادتنا- هل ندع الخطية تملك في أجسادنا. ولكن من الواجب أن يؤثر في إرادتنا واقع كوننا قد متنا عن الخطية.

ماذا يعني بولس إذاً بعبارته "متنا عن الخطية؟" هو يعني أننا متنا بالنسبة إلى سيادة الخطية أو سلطانها. فقبل أن نضع ثقتنا في يسوع المسيح لأجل خلاصنا كنا نعيش في مملكة إبليس والخطية. حيث "سلكنا حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء [إبليس]" (أفسس ٢: ٢). كنا تحت سلطان الشيطان (أعمال ٢٦: ١٨) وسلطان الظلمة (كولوسي ١: ١٣). ويقول بولس أننا كنا عبيداً للخطية (رومية ٦: ١٧). فنحن قد وُلدنا في مملكة الخطية والعبودية والموت. وكل إنسان عاش منذ عهد آدم، ما خلا ابن الله المتجسد، قد وُلد عبداً في مملكة الخطية وإبليس، لكنا باتحادنا مع المسيح متنا عن مملكة الخطية هذه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فقد اعتقنا من الخطية (رومية ٦: ١٨) وأنقذنا من سلطان الظلمة (كولوسي ١: ١٣)، و رُددنا من سلطان الشيطان إلى الله (أعمال ٢٦: ١٨). فقبل خلاصنا كنا نرزح تحت عبودية الخطية، تحت سلطانها وحكمها. وبصرف النظر عن مستوى أخلاقنا وسلوكنا اللائق، كنا نعيش في مملكة الخطية. لكن الآن باتحادنا مع المسيح في موته عن الخطية، قد نُقلنا من دائرة الخطية ووُضعنا في مملكة البر ودائرته.

في تعليق للأستاذ جان موري (John Murrey) على هذه العبارة "متنا عن الخطية" يقول: "إذا اعتبرنا الخطية مملكة أو دائرة، فالمؤمن المسيحي لا يقيم فيها. وكما يصح القول عندما نشير إلى الحياة في هذا العالم إن الإنسان الذي مات قد [عبر فإذا هو ليس بموجود والتمسته فلم يوجد] (مزمور ٣٧: ٣٦)، كذلك ينطبق هذا على عالم الخطية؛ فالمؤمن ليس بعد هناك لأنه مات عن الخطية.... وقد مات عن الخطية مرة واحدة ونقل إلى دائرة أخرى".

ولأننا كنا في مملكة الخطية هذه، تحت سلطانها وسيادتها، بدأنا نخطئ منذ نعومة أظفارنا. ولما كنا عبيداً فقد كنا نتصرف كعبيد، ونمت فينا عادات شريرة وأخلاق فاسدة. حتى أننا، ولو كنا ممن يعتبرهم الناس "صُلاحاً"، كنا نحيا لأنفسنا وليس لله. وكان موقفنا من المسيح معبراً عنه بما قال أعداؤه: "لا نريد أن هذا يملك علينا" (لوقا ١٩: ١٤).

ولكن ما دُمنا قد أُعتقنا من هذه المملكة فلماذا نخطئ بعد؟ فمع أن الله قد خلصنا من سلطان الخطية، فما زالت طبيعتنا الساقطة كامن في دواخلنا. ورغم أن سلطان الخطية وسيادتها قد انكسرت شوكتها، فإن فلول الخطية الساكنة في جسد المؤمن ما زالت تبذل قوة مروعة هائلة، وهي نزاعة نحو الشر دائماً. سأضرب مثلاً على هذا الصراع الدائر يوضح بجلاء صحة هذا القول. ففي بلد من البلدان، كانت فئتان متنافستان تتنازعان بهدف السيطرة على الدولة. وفي آخر المطاف تمكنت فئة منهما، بمساندة جيش غريب، أن تربح الحرب وتتسلم زمام الحكم. ولكن الجهة الخاسرة لم تنفك عن القتال، بل بدلت فقط منهاج مخططاتها الحربية، واستمرت في النضال. وقد نجحت هذه الفئة لدرجة أصبحت معها الدولة التي كانت تقدم المعونة الخارجية عاجزة عن سحب جنودها.

هذا هو شأن المسيحي المؤمن. فقد هُزم إبليس وأطيح بسلطان الخطية، ولكن طبيعتنا الساقطة تلجأ إلى نوع من المناوشات العسكرية لكي تجرنا على الخطية، فتكون النتيجة صراعاً بين الروح القدس والطبيعة الساقطة. وقد تكلم الرسول بولس في رسالة غلاطية عن هذا الصراع. "لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون" (غلاطية ٥: ١٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثم إننا لما كنا قد وُلدنا خطأة فقد نشأت لدينا بعد الولادة عادات خاطئة. وكما يقول جاي آدامس (Jay Adams): "حقاً إننا وُلدنا خطأة، لكن لزم الأمر إلى الممارسة لاكتساب أساليبنا الخاصة في ارتكاب الخطية. وهكذا تدربت الطبيعة القديمة على الإثم والشر."ونحن جميعاً نزاعون إلى التصرف بموجب هذه العادات القبيحة التي نُقشت في داخلنا خلال التمرس الطويل.

لنفترض مثلاً أنه كان برجلي عرجٌ، فاعتدت أن أعرج في المشي. فإذا أُجريت لي عملية جراحية فشفيت من العرج، فإني سأظل ميالاً إلى مشية العرج بحكم العادة. هل تظن أولئك العبيد الذين حررهم ابراهام لنكولن، ابتدأوا يفكرون تفكير الأحرار؟ إنهم دون أدنى شك كانوا يميلون حيناً على التصرف كأنهم ما زالوا عبيداً بعدما اكتسبوا عادات العبودية التي تأصلت فيهم.

على هذا المنوال ينزع المؤمن المسيحي إلى الخطيئة من باب العادة. إذ من دأبنا أن نهتم بأنفسنا أكثر من اهتمامنا بالآخرين، وأن نثأر لأية إهانة، وأن نطلق العنان لشهوات الجسد، ومن عاداتنا أن نحيا لأنفسنا، وليس لله. ونحن لا نطرح هذه العادات بين ليلة وضحاها عندما نصبح مسيحيين حقيقيين، بل إننا في الواقع سنقضي بقية عمرنا ونحن نطرح عنا هذه العادات ونكتسب عادات القداسة. ولا يقتصر الأمر فقط على أننا كنا عبيداً للخطية بل إننا ما زلنا نعيش في عالم يعج بعبيد الخطية. حتى القيم التي يوافق مجتمعنا عليها تنعكس فيها صورة هذه العبودية، ويضغط العالم علينا لعلنا نتكيف طبقاً لقالبه الخاطئ الخاص.

لذلك، ورغم كون الخطية قد فقدت سلطانها على حياتنا، فإنها ستحاول باستمرار أن تنقض علينا. ورغم تحريرنا من مملكة الخطية ومن سيادتها فنحن لما نحرر من هجماتها. وكما يقول الدكتور مارتن لويد جونز (Martyn Lioyd Jones) في سياق شرحه لرومية ٦، رغم كون الخطية لا تستطيع ان تملك فينا، أي في جوهر شخصيتنا، فهي إذا لم تُضبط قد تملك في أجسادنا الفانية. إنها تحول الغرائز الطبيعية في أجسادنا إلى شهوات، وشهيتنا الفطرية للطعام إلى تهالك على الطيبات، كما تحول حاجتنا للكسوة والملجأ إلى نزعة مادية غلابة.

لهذا السبب يحضنا بولس أن نتيقظ لئلا تملك الخطية في أجسادنا. قبل خلاصنا وموتنا عن سيادة الخطية، كان تحريض كهذا يبدو عقيماً بلا جدوى. فلا يمكنك أن تقول لعبد: "عش حراً"، لكن بإمكانك أن تقول هذا لشخص قد أُعتق من العبودية. أما وقد متنا حقاً عن الخطية (بالنسبة لسلطانها وسيادتها) علينا أن نحسب هذا الأمر حقيقة واقعة؟ فينبغي أن نضع نصب أعيننا واقع كوننا لم نعد عبيداً. إذ بإمكاننا الآن أن نواجه الخطية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ونصدها. لم يكن لدينا الخيار قبلاً، لكن ذلك أصبح الآن في حوزتنا. فعندما نرتكب خطية ما، نحن المؤمنين المسيحيين، لا نخطئ كما لو كنا عبيداً، بل كأفراد لهم حرية الاختيار.

وخلاصة القول أننا قد أُعتقنا من سلطان الخطية وحكمها، من مملكة الشر، وذلك باتحادنا مع المسيح في موته. لما دخل المسيح عالمنا هذا، دخل طوعاً واختياراً دائرة الخطية، إلا أنه ما أخطأ قط. ولما مات، فقد مات للخطية (رومية ٦: ١٠)، ونحن أيضاً باتحادنا معه متنا بالنسبة للخطية وسلطانها. فينبغي أن نحسب حساباتنا على أساس كوننا أمواتاً بالنسبة لمملكة الخطية، فنقوى على التصدي لها وعلى صدها. لذلك علينا أن نحمي أجسادنا كي لا تسودنا الخطية.

وهكذا نرى أن الله قد سبق فأعد لنا العدة للقداسة، إذ أُعتقنا من سلطان الخطية بالمسيح، فصار بإمكاننا أن نقاومها. إنما مسؤولية المقاومة تقع على عواتقنا. فالله لا يقدم على هذا العمل عوضاً عنا. وإما أن نخلط طاقة المقاومة (التي أعدها الله) بمسؤولية المقاومة (وهي تقع على عواتقنا) فهذا يعني الكارثة المحتومة في سعينا وراء القداسة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السادس

الجهاد في سبيل القداسة

"وإنما أقول اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد. لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون" (غلاطية ٥: ١٦و ١٧).

إننا تحررنا من سلطان الخطية باتحادنا مع المسيح في موته. ولكن ما انفك جسد الخطية يقاومنا. وقد وصف بولس هذا الوضع بدقة عندما قال: "الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد" (غلاطية ٥: ١٧). وربما لا يعجبنا أن تدوم هذه المقاومة طوال العمر، ولكن كلما أدركنا هذا الواقع وتقبلْناه تسلحْنا على نحو أفضل لمواجهته. وكلما اكتشفنا طبيعة الجسد القديم، قلّ شعورنا بتأثيره. وبمقدار ما نكتشف الخطية، نشمئز منها ونحاربها.

رغم هذه النزعة الجسدية الكامنة في داخل المؤمن المسيحي، فإن الروح القدس يبقي فيه رغبة عارمة نحو القداسة (١ يوحنا ٣: ٩). فيجاهد ضد هذه النزعة التي يقدره الله أن يراها في نفسه. هذه هي الصورة التي تتجلى في غلاطية ٥: ١٦و ١٧، وتبين وجه الفرق بين المسيحي المؤمن وغير المؤمن الذي يهجع وسط الظلام راضياً قانعاً.

كما ورد في الفصل السابق فإن جسد الخطية ما زال موجوداً رغم كونه قد خلع عن العرش. وطبيعته لم تتغير رغم هزيمتها وضعفها. وهكذا فإن في داخلنا عدواً للبر عنيداً. فأي اجتهاد أو يقظة يجب أن نبذل ما دام هذا العدو الكامن في نفوسنا مستعداً لمعارضة أي سعي.

وإذا أردنا أن نخوض حرباً ناجحة ضد هذا العدو الداخلي، فمن المهم جداً أن نحوز بعض المعلومات حول طبيعته ومخططاته. فطبيعته، أولاً، هي تلك الطبيعة الجسدية الساقطة التي تشتهي ضد الروح، ومن مخططاته أن يهاجم القلب محاولاً التأثير عليه لأن القلب هو المركز الرئيس بل هو كيان الإنسان الداخلي.

والقلب في الكتاب المقدس له عدة معان، فهذه الكلمة تارة تعني الفكر أو العقل وطوراً تعني العواطف والانفعالات، وأحياناً تعني الإرادة. وبشكل عام، فإن هذا التعبير يشير إلى نفس الإنسان بكاملها، بكل ما فيها من مقدرات تجتمع معاً لعمل الخير أو الشر. فالعقل في ما يستنتج ويميز ويحكم، والعواطف في ما تحب أو تكره، والضمير في ما ينذر ويقرر، والإرادة في ما تختار أو ترفض، كل هذه الأمور يطلق عليها اسم القلب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويفيدنا الكتاب المقدس أن القلب لا يستطيع أحد أن يسبر غوره إلا الله وحده (إرميا ١٧: ٩و ١٠)، حتى أننا نحن المؤمنين المسيحيين أيضاً نجهل قلوبنا (١كورنثوس ٤: ٣-٥). وليس في وسع أحد أن يعي تماماً ما في قلبه من الدوافع الخفية، أو المكايد السرية أو الميول والتقلبات.

والقلب أيضاً مضلل. فهو يبرر تصرفاتنا ويختلق لها الأعذار ويعقلنها، ويعمي بصيرتنا عن نواح من الخطية دفينة في حياتنا. وهو يجعلنا نتعامل مع الخطية بمقاييس ناقصة، أو نظن أن الموافقة الذهنية على كلمة الله والطاعة هما سيان (يعقوب ١: ٢٢).

إذاً، نحن بأمس الحاجة لأن نلتمس من الله يومياً أن يفحص قلوبنا بحثاً عن انحراف لا نستطيع، أو لا نريد رؤيته. وهذا كان محور صلاة داود عندما قال: "اختبرني يا الله واعرف قلبي امتحنّي واعرف أفكاري. وانظر إن كان فيّ طريق باطل واهدني طريقاً أبدياً" (مزمور ١٣٩: ٢٣و ٢٤).

أما الوسيلة الأساسية التي بها يختبر الله قلوبنا على هذا النحو فهي كلمته المقدسة، إذ نقرأها ونحن خاضعون لسلطان الروح القدس: "لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته" (عبرانيين ٤: ١٢). فإذ نصلي طالبين إلى الله أن يمتحن قلوبنا، علينا أن نعرض أنفسنا باستمرار لكلمته الفاحصة.

وهنا يجب أن نحذر فنفسح في المجال للروح القدس حتى يقوم هو بدور الفاحص. لأننا إذا حاولنا أن نمتحن قلوبنا بأنفسنا نكون عرضة للوقوع في أحد الفخين التاليين أو في كليهما معاً. الفخ الأول هو مرض الاستبطان أو فحص الذات، إذ من السهل أن يصبح امتحان الذات أداة بيد إبليس الذي يُدعى "المشتكي" (رؤيا ١٢: ١٠). فمن أسلحته الرئيسة سلاح تثبيط العزيمة. وهو يعلم أنه إذا أفلح في تثبيط همتنا وأوقعنا في الاكتئاب يمنعنا من الجهاد في سبيل القداسة.

أما الفخ الثاني فهو الإخفاق في إدراك القضايا الأساسية في حياتنا. فمن شأن مخادعة إبليس وقلوبنا أن تقودنا إلى التركيز على الأمور الثانوية. أذكر شاباً يافعاً قصدني ليتحدث معي عن مشكلة خطية في حياته لم يكن بمقدوره أن يسيطر عليها. ورغم أن هذه المشكلة كانت تطغى بمفردها على كل آفاق ذهنه، فقد كانت عينه كليلة عن رؤية مواطن ضعف أخرى في حياته. فالخطية التي كان يراها كانت تؤذيه شخصياً، أما الخطايا الأخرى التي لم يكن يعيها، فقد كانت تجرّح الآخرين يومياً. إنما الروح القدس وحده يقدّرنا أن نرى هذه النواحي التي تعمى بصيرتنا عنها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أما الأمر الثاني الذي يجب أن ندركه فهو أن الطبيعة القديمة تحاول أن تعمل على نطاق واسع من خلال رغائبنا. فالإنسان منذ سقوطه في جنة عدن وهو يصغي إلى شهواته أكثر مما يصغي إلى عقله، هذه الشهوة التي باتت أقوى عامل في قلب الإنسان. فعندما تواجه مستقبلاً، تجربة من تجاربك المعهودة، لاحظ الصراع بين شهواتك وعقلك. فإذا انقدْتَ إلى التجربة فذلك يعني أن النصر كان حليف الشهوة.

إن العالم يدرك هذا الواقع ويحاول جذب رغائبنا من خلال ما يسميه الكاتب إلى العبرانيين "التمتع بالخطية" (عبرانيين ١١: ٢٥).

بالطبع ليست كل رغبة شريرة بالضرورة. لأن بولس يتكلم عن رغبته في معرفة المسيح (فيلبي ٣: ١٠) وعن رغبته في خلاص أخوانه اليهود (رومية ١٠: ١)، ورغبته في بلوغ أولاده الروحيين إلى مرحلة النضوج (غلاطية ٤: ١٩). على أننا نتكلم في هذا السياق عن الرغبات الشريرة التي تدفعنا إلى الخطية. ويقول يعقوب أن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته الشريرة (يعقوب ١: ١٤). وإذا شئنا الفوز في جهادنا في نهج القداسة، يجب أن نعترف أن أساس المشكلة يكمن في داخلنا، لأن شهوات الطبيعة الساقطة هي التي تدخلنا في التجربة. قد نظن أننا نستجيب فقط لإغراءات خارجية تُقدم لنا، ولكن أحياناً نشعر برغبات نابعة في دواخلنا.

هناك بالطبع مناسبات عديدة تواجهنا فيها التجربة على نحو غير متوقع. وعندئذ تكون ميولنا الشريرة مستعدة لأن ترحب بالتجربة وتعانقها. ومثلما تلتهم النار أية مادة قابلة للاحتراق تلقى فيها، كذلك تتجاوب رغباتنا الشريرة مع التجربة في الحال. وقد قال جون أوين (John Owen) إن الخطية تواصل حربها محاولة أسر عواطفنا داخل أحبولتها. لهذا السبب يكون الامتناع عن الخطية، كما يقول أوين أيضاً، بالتيقن أن رغباتنا منصرفة إلى تمجيد الله لا منحرفة إلى إشباع شهوات أجسادنا.

والأمر الثالث الواجب إدراكه بشأن الطبيعة القديمة هو أنها نزّاعة إلى تضليلنا في فهمنا للأمور أو تحليلنا لها. فإن عقولنا التي استنارت بالروح القدس من خلال كلمة الله، تقف عقبة في وجه الميول الجسدية لمنعها من السيطرة علينا بواسطة رغباتنا. ولهذا فإن خطة الشيطان الاستراتيجية الكبرى هي أن يخدع عقولنا. وقد تحدث بولس عن "شهوات الغرور" في الإنسان العتيق (أفسس ٤: ٢٢) كما قال إننا كنا قبلاً: "ضالين مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة" (تيطس ٣: ٣). ومع أن الشاهدين المذكورين يتكلمان عن حياتنا القديمة، ينبغي أن ندرك أن هذا الخداع ما انفك يواجهنا من حين إلى آخر.

يجري خداع العقل على مراحل، رويداً رويداً. فنبتعد في الدرجة الأولى عن الحذر واليقظة، ثم عن الطاعة. ونصبح مثل أفرايم الذي قال عنه الله: "أكل الغرباء ثروته وهو لا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يعرف وقد رشّ عليه الشيب وهو لا يعرف" (هوشع ٧: ٩). وقد نبتعد عن الحذر من جراء فرط الثقة بالنفس، حتى نتصور أننا في حصانة من جهة تجربة معينة، فننظر على شخص آخر يسقط ونقول: "لن أفعل هذا أبداً". ولكن بولس ينذرنا بقوله: "إذاً، من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط" (١كورنثوس ١٠: ١٢). حتى ونحن نساعد أخاً قد زل، يجب أن نأخذ حذرنا كي لا نُجرب نحن أيضاً (غلاطية ٦: ١). إننا نبتعد غالباً عن الطاعة عندما نسيء استعمال النعمة: عندما نظن أن بإمكاننا أن نقترف الخطية ثم نحصل على الغفران عملاً بالآية الواردة في ١يوحنا ١: ٩. وأيضاً نسيء استعمال النعمة إذا أخطأنا ثم صرفنا أفكارنا كلياً نحو رأفة الله ورحمته دون أي اعتبار لقداسته وكرهه للخطية.

كما أننا ننحرف عن سبيل الطاعة عندما نسمح بأن يساورنا الشك في ما يقوله الله في الكلمة المقدسة. وهذه كانت خطة إبليس الأولى مع حواء (تكوين ٣: ١- ٥). فكما قال لحواء: "لن تموتا" هكذا يقول لنا: "هذا شيء طفيف" أو "الله لن يحاسب على مثل هذه الخطية".

وهكذا نرى، أنه رغم كون الخطية قد فقدت سلطانها علينا، فهي ما زالت تحاول أن تثبت وجودها، فإذا تغاضينا عنها استعادت نشاطها. أما دورنا والحالة هذه فهو التنبه ثم التعامل بسرعة وحزم إزاء أي تحرك مشبوه للخطية. لذا علينا ألا نتوهم أبداً أن جهادنا ضد الجسد قد بلغ نهاية شوطه. فإن القلب البشري لا يسبر له غور، والرغبات الجسدية ما زالت موجودة والعقل الفطن عرضة لأن يُضلل كل حين. وحقاً قال الرب يسوع: "اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة، أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف" (متى ٢٦: ٤١)، ونبهنا سليمان الحكيم بقوله: "فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة" (أمثال ٤: ٢٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السابع

عونٌ في الجهاد اليومي

"كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية لكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا" (رومية ٦: ١١).

رأينا في الفصل الخامس كيف خلّصنا الله من مملكة الخطية وسلطانها بواسطة اتحادنا بالمسيح في موته. كنا عبيداً للخطية، وتحت نير هذه العبودية كنا نرتكب الشرور. وقد نمت فينا عادات شريرة وإن سمت أخلاقنا. لكن يسوع المسيح جاء إلى هذا العالم الشرير وناب منابنا على صليب الجلجثة. وهو قد مات للخطية، ونحن باتحادنا معه قد متنا أيضاً للخطية. والآن قد تحررنا من سلطان الخطية، فلم نعد عبيداً لها. فينبغي أن نحسب حساب هذه الحقيقة الواقعة ونقاوم الخطية لئلا تملك في أجسادنا الفانية.

ورأينا في الفصل السادس أن الخطية ما زالت موجودة، وتشن علينا "حرب العصابات" عبر الشهوات الشريرة وخداع عقولنا. وقد يبدو كأن بصيص الأمل في بلوغ القداسة، ذاك الذي لاح لنا في الفصل الخامس، قد خبا في الفصل السادس. حتى إنك قد تسائل النفس قائلاً: "ما الفائدة في أن يقال لي إن المسيح قد كسب الحرب مع الخطية بموته على الصليب، وأنا ما زلت أعاني في قلبي مناوشات الخطية؟"

لكي نختبر القداسة العملية يومياً، علينا أن نقبل الحقيقة الواقعة في كون الله بحكمته اللا متناهية قد ارتأى مناسباً أن يسمح بهذا الجهاد اليومي ضد الخطية. ولكنه، تعالى، لا يتركنا نخوض المعركة منفردين. فكما سبق أن خلّصنا كلياً من سيادة الخطية، هكذا أعد لنا كامل العدة لكي نفوز في الجولات اليومية التي تشنها علينا الخطية.

وهذا يفضي بنا إلى النقطة الثانية في رومية ٦: ١١، والتي ينبغي أن نضعها نصب أعيننا ونحسب حسابها. فنحن لسنا فقط "أمواتاً عن الخطية"، كما رأينا في الفصل الخامس؛ بل إننا أيضاً "أحياء لله". ذلك أننا لم نُنقذ فقط من سلطان الظلمة بل نُقلنا أيضاً إلى ملكوت المسيح. ويقول بولس أننا أصبحنا "عبيداً للبر" (رومية ٦: ١٨). فإن الله لا يتركنا معلقين في حالة حياد، لأنه إذ يحررنا من سلطان الخطية ينقلنا إلى ملكوت ابنه الحبيب.

فما معنى أن نكون أحياء الله؟ كيف يعيننا هذا في سعينا وراء القداسة؟ إنه يعني في المقام الأول، أننا متحدون بالمسيح في كل قوته. فمن الصحيح يقيناً أننا لا نستطيع أن نحيا حياة مقدسة بقوتنا الشخصية. لأن المسيحية ليست عملاً تقوم به بنفسك.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لاحظ موقف بولس الرسول في رسالته إلى أهل فيلبي (٤: ١١- ١٣). فقد كان يُصرح كيف تدرب أن يكون مكتفياً في جميع الظروف، في السعة أو العوز، في الشبع أو الجوع، وهو يقول إنه يستطيع ذلك في المسيح الذي يقويه. كيف يصح هذا المبدأ على مسألة القداسة؟ إن رد فعلنا على الظروف جزء من مسيرتنا في القداسة. فالقداسة ليست قائمة من المحرمات والمحللات، بل هي التكيف وفقاً لسجايا الله، والطاعة لمشيئته. فعندما أرضى، بكل قناعة، بأي حال يسمح بها الله في حياتي، أقوم بقسط حيوي من مسيري في حياة القداسة.

ولكن لا يفوتنا أن بولس قال إنه يستطيع أن يكون راضياً بكل حال لأن المسيح هو الذي يمنحه القوة لفعل ذلك. ونلاحظ ذلك مرة أخرى عندما صلى بولس من أجل أهل كولوسي طالباً أن يتشددوا "بكل قوة بحسب قدرة مجده لكل صبر وطول أناة بفرح" (كولوسي ١: ١١). فمن أين الصبر وطول الأناة؟ من تقوّينا بقوة الله التي تشددنا.

ولنأخذ بعين الاعتبار صلاة أخرى ترد في الرسالة إلى أهل أفسس، حيث خاطبهم بولس قائلاً إنه يصلي من أجلهم "لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن" (أفسس ٣: ١٦)، ثم ختم هذه الصلاة باعترافه أن الله هو "القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا" (أفسس ٣: ٢٠).

ذلك هو أول معنى علينا أن ندركه متضمناً في كوننا "أحياء لله". فنحن متحدون بذاك الذي يعمل فينا ويقوينا بقوته وقدرته. لقد ذقنا كلنا طعم اليأس المروع الذي تسببه قوة الخطية. فكم قرّرنا مرة بعد مرة ألا نستسلم لتجربة معينة، إلا أننا وقعنا فيها مرغمين من جديد. ومن ثم كان إبليس يأتي ويهمس في آذاننا: "الأفضل لك أن تكف عن المقاومة، فلن تتغلب أبداً على هذه الخطية". صحيح أن ليس بإمكاننا الإفلاح وحدنا. لكننا أحياء لله ومتحدون بذلك الذي نستمد منه قوتنا. فإذا ما حسبنا حساب هذا الأمر باعتباره حقيقة واقعة، فلا بد أن نختبر القوة اللازمة لمقاومة تلك التجربة.

يقول الدكتور مارتن لويد جونز (Martin Lioyd Jones): "إن إدراكنا لهذا الأمر يبدد ذلك الشعور القديم باليأس الذي نعرفه كلنا ونشعر به بسبب قوة الخطية الفظيعة... كيف يتم هذا؟ إنه يتمم على النحو التالي: يمكن تبديد هذا الشعور باليأس إذ أقول لنفسي إنني ما عدت ضمن نطاق سلطان الخطية وحسب، بل أضحيت تحت سيادة قوة أخرى لا يثبط شيء عزيمتها. ومهما بلغ ضعفي، فقوة الله هي العاملة في داخلي".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذا التعليم ليس مجرد نظريات نرتبها فوق رفوف عقولنا ونعجب بها، لكن يعوزها النفع العملي لنا في جهاد القداسة اليومي. فالانطلاق من واقع كوننا أمواتاً عن الخطية وأحياء لله هو عمل فعلي يجب أن نقوم به.

لذلك يجب أن نكتسب عادة التنبه الدائم لكوننا أمواتاً عن الخطية وأحياء لله. ونحن نتمم ذلك عملياً إذ نقاوم هجمات الخطية وتجاربها إيماناً منا بكلمة الله. كما أننا نُدخلُ في حسابنا واقع كوننا أحياء لله عندما نتوجه إلى المسيح بالإيمان لكي يسلّحنا بالقدرة اللازمة للمقاومة. فلا بد للإيمان من أن يستند دوماً على واقع فعلي. و(رومية ٦: ١١) حقيقة واقعة بالنسبة إلينا.

أما المعنى الثاني المتضمن في كوننا أحياء لله فهو أنه قد وهبنا روحه القدوس ليسكن في داخلنا. والواقع أن هذا ليس نتيجة ثانية بل هو وجهة أخرى للنظر إلى اتحادنا بالمسيح، لأن الروح القدس هو العامل في هذه الوحدة. فهو الذي يعطينا الحياة الروحية ويمنحنا القوة لنحيا هذه الحياة (رومية ٨: ٩- ١١). وهو العاملُ فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة (فيلبي ٢: ١٣).

يقول بولس: "لأن الله لم يدعُنا للنجاسة بل في القداسة. إذاً من يرذل إنساناً بل الله الذي أعطانا أيضاً روحه القدوس" (١ تسالونيكي ٤: ٧ و ٨).

هنا يربط بولس إعطاء الروح القدس بعيشنا حياة القداسة. فاسمه الروح القدس وقد أُرسِلَ أساساً كي يقدّسنا، ليجعلنا موافقين لطبيعة الله الأدبية. والترابط بين هاتين الفكرتين، أي سُكنى الروح القدس فينا وحياة القداسة، نجده في شواهد أخرى، مثلاً، علينا أن نهرب من الزنى لأن أجسادنا هي هياكل للروح القدس (١ كو ٦: ١٨ و ١٩). كما نُفادُ أيضاً أننا لسنا تحت سيطرة الجسد، بل الروح، إن كان روح الله ساكناً فينا (رومية ٨: ٩). ونقرأ في (غلاطية ٥: ١٦): "اسلكوا بالروح فلا تكمّلوا شهوة الجسد".

لماذا يسكن الروح القدس في داخلنا ويشددنا للقداسة؟ لأننا أحياء لله. فنحن الآن تحت سيادة الله الذي يوحّدنا بالمسيح ويعطينا الروح القدس حتى يقطن في داخلنا[٤].

والروح القدس يقوّينا لكي نسلك في القداسة إذ يرينا أولاً حاجتنا للقداسة. فهو ينير عقولنا حتى نعي مقياس الله للقداسة. ثم يقودنا لندرك أية نواحٍ معينة من الخطية تظهر في حياتنا. فإن واحداً من أشد أسلحة الشيطان فتكاً هو أن يعمي بصيرتنا الروحية لئلا نرى كم

[٤] - صحيحٌ أيضاً أن الروح القدس هو الأقنوم الإلهي العامل على إحيائنا لله (يوحنا ٦: ٦٣)، على أننا هنا ننظر في نتائج إنقاذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن الله، وما سُكنى الروح القدس فينا إلا نتيجة من هذه النتائج.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نحن مطبوعون على الشر. تقول كلمة الله: "القلب أخدعُ من كل شيء وهو نجيس من يعرفه" (إرميا ١٧: ٩). ولا أحد يعرفه ويكشفه إلا الروح القدس.

حتى المسيحي المؤمن الذي يستوعب تعاليم الكتاب المقدس قد ينخدع بأمر خطاياه الشخصية. فنحن نشعر بطريقة ما أن قبول تعليم الكتاب المقدس يوازي الطاعة. وقد نسمع نقطة عملية في عظة أو ربما نكتشفها من خلال قراءتنا أو دراستنا الشخصية للكتاب المقدس، فنقول: أجل هذا صحيح؛ هذا شيء أحتاج لأن أعمل بموجبه". ولكن ينتهي الأمر عند هذا الحد. ويقول يعقوب أننا إذا عملنا هذا نخدع أنفسنا (يعقوب ١: ٢٢).

وكلما تقدمنا في الحياة المسيحية واجهنا خطراً متزايداً من السقوط في الكبرياء الروحية. فنحن نعرف العقائد الصحيحة، والوسائل المناسبة وما يليق عمله أو الامتناع عنه، لكننا قد نَعمى عن رؤية الفقر الذي تُعاني منه شخصيتنا الروحية، فنغضّ الطرف عما فينا من روح انتقاد وعدم تسامح، أو عادة اغتيابٍ للآخرين أو نزعةٍ إلى الحكم عليهم، وبذلك تكون حالتنا أشبه باللاودكيين الذين يقول لهم الرب: "تقول أني أنتا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء ولستَ تعلم أنك أنت الشقي والبئس وفقير وأعمى وعريان" (رؤيا ٣: ١٧).

وقد تصرف داود على هذا النحو عندما ارتكب خطيئة الزنى مع بثشبع ومن ثم دبّر مقتل زوجها حتى يستر خطيئته الأولى (٢ صموئيل ١٢: ١- ١٣). فهل ندم على أفعاله المنكرة وتذلل؟ كلا البتة. فالواقع أنه كان مستعداً حتى لأن يدين رجلاً آخر ويحكم عليه بالموت بسبب خطية أقل فظاعةً من خطيته هو (٢ صمو ١٢: ٥). ولأي سبب عمل هذا؟ لأنه كان أعمى البصيرة روحياً. فهو لم يدرك شناعة خطيته وفظاعتها حتى قال له ناثان النبي: "أنت هو الرجل".

ذلك أن الروح القدس يُعنى بأن يجعلنا نرى فقرنا المدقع بسبب خطايانا فيأتي ويقول لنا: "أنت هو الرجل". ومع أن رسالة كهذه قد تأتينا على لسان أخٍ في المسيح مُحبّ لنا، فإن الروح القدس هو الذي يفتح لنا مغاليقَ قلوبنا ويقدّرنا على قبولها، فنقول مع داود: "قد أخطأتُ إلى الرب". إن الروح القدس ينفذ إلى أعماق قلوبنا ويمكّننا من رؤية الحمأة الخلقية الغائرة فيها، ومن هنا يبدأ بعمل تقديسنا.

والنتيجة الطبيعية لرؤيتنا المقياس الإلهي، وإدراكنا فساد طبيعتنا الساقطة هي أن يستيقظ في أعماقنا توقٌ إلى القداسة. وهذا أيضاً من أفعال الروح القدس وهو يعمل على تقديسنا. وهكذا نحزن من جراء خطايانا حزناً حسب مشيئة الله يفضي بنا إلى التوبة (٢ كو ٧: ١٠)، ونقول مع داود "اغسلني كثيراً من إثمي ومن خطيئتي طهّرْني.... طهّرني بالزوفى فأطهر. اغسلني فأبيض أكثر من الثلج" (مز ٥١: ٢، ٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقول بولس: "لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة" (فيلبي ٢: ١٣). فقبل أن نعمل، يجب علينا أن نريد. وأن نريد يعني أن نرغب ونعقد العزم. فعندما يكشف لنا الروح القدس فساد طبيعتنا الشريرة، فهو يعمل هذا ليقودنا لا إلى اليأس بل إلى القداسة. وهو يقوم بذلك إذ يخلق في أعمالنا بغضاً للخطية وتوقاً للقداسة.

ولا يثابر في السعي وراء القداسة، هذا العمل الشاق والمضني ببطئه، سوى من تحدوه الرغبة العارمة في القداسة. والإخفاق مروع ومتكرر، لأن عادات طبيعتنا القديمة وهجمات إبليس هي من القوة بحيث تثني عزمنا عن السعي، لولا كون الروح القدس عاملاً فينا كي يُوجد التوق إلى القداسة.

هذه الرغبة الشديدة يوجِدُها الروح القدس ليس فقط بأن يكشف لنا خطايانا، بل أيضاً بأن يبين لنا المقياس الإلهي لقداسة. وهو يعمي هذا من خلال الكتاب المقدس. فعند قراءتنا الكتاب المقدس ودراسته، أو سماع تعاليمه، يأسرنا الجمال الأدبي الذي يزين المقياس الإلهي للقداسة، حتى لو كان هذا المقياس يبدو بعيد المنال بالنسبة إلينا، فلا بدَّ أن ندرك أهميَّة الوصيّة ونستجيب لها لأنها "مقدسة وعادلة وصالحة" (رومية ٧: ١٢).

وهنا أيضاً تميزٌ آخر ينبغي إجراءه بينما يعمله الله وما هو من واجبنا. فإن كان الروح القدس يستخدم كلمة الله ليظهر لنا حاجتنا ويثير فينا توقاً إلى القداسة، أفليس من واجبنا إذاً أن نعكف على التزود من كلمة الله كل حين؟ ألا يجب علينا أن نلجأ إلى الكلمة إما لسماع الوعظ بها وإما لدراستها دراسة شخصية، مصلين أن يفحص الروح القدس قلوبنا بحثاً عن خطية ما كامنة فيها (مزمور ١٣٩: ٢٣و ٢٤)؟

وبعد أن يكون الروح القدس قد مكَّننا من إدراك حاجتنا وأوجد في أعماقنا الرغبة في القداسة، يبقى ثمة عملٌ آخر يقوم به. إذ لا بدَّ أن يعطينا القوة الروحية لنعيش حياة القداسة.

يقول الرسول بولس: "أسلكوا بالروح فلا تكمِّلوا شهوة الجسد" (غلاطية ٥: ١٦). وأن نسلك بالروح معناه أن نحيا حياة الطاعة للروح القدس، والاتكال عليه في الوقت عينه. إذاً يوجد توازن بين إرادتنا (ونعبّر عنها بالطاعة) وإيماننا (ونعبّر عنه بالاتكال). ونحن في هذا السياق نبحث في ناحية اعتمادنا على الروح القدس.

لا أحد يتغلَّب على فساد قلبه إلاّ إذا تقوَّى بقوة روح الله القدير. فقد قال بطرس أن الله "قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة" لكي نصير "بها شركاء الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة" (٢بطرس ١: ٤). فإذ نصير "شركاء الطبيعة الإلهية" نهرب من الفساد، وما هذه الشركة إلا بالروح القدس الساكن فينا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ونحن نعرب عن اتكالنا على الروح القدس لنحيا حياة مقدسة، بطريقتين. الطريقة الأولى هي الاغتذاء من كلمة الله بتواضع ومواظبة. فإذا كنا نرغب حقاً أن نحيا في مملكة الروح ينبغي لنا أن نُشبع عقولنا باستمرار من الحق الكتابي الذي يعلنه الروح. فمن الرياء الفاضح أن نصلّي طالبين نصراً على خطايانا ونحن نهمل تغذية نفوسنا بكلمة الله.

ومع ذلك، فمن الجائز أن نثبت على الاغتذاء بكلمة الله دون الاتكال على الروح القدس. يقول الرب: "وإلى هذا أنظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي" (اشعياء٦٦: ٢). فعلينا أن نُقبل على منهل كلمة الله بروح التذلل والانسحاق لعلمنا أننا خطاة بالطبيعة، وأننا غالباً ما نعمهُ دون رؤية خطايانا، وأننا نحتاج في قلوبنا إلى قوة الروح القدس التي تؤتينا البصيرة.

أمّا الطريقة الثانية التي بها نعرب عن اتكالنا على الروح القدس فهي أن نصلّي لأجل القداسة. وقد كان الرسول بولس يصلي كل حين لأجل عمل الروح القدس في حياة الذين كان يكتب إليهم. فكتب إلى أهل أفسس يقول إنه يصلّي طالباً أن يؤيدهم الله بالقوة بروحه في الإنسان الباطن" (أفسس٣: ١٦). كما صلَّى لأجل أهل كولوسي كي يمتلئوا "من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحي" حتى يسلكوا "كما يحق للرب في كل رضى" (كولوسي ١: ٩و ١٠). وكتب إلى أهل تسالونيكي: "وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام" (١تسالونيكي ٥: ٢٣). وأيضاً: "الرب ينميكم ويزيدكم في المحبة بعضكم لبعض وللجميع... لكي يثبّت قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام بولس علم يقيناً أننا نعتمد على الروح القدس في أمر القداسة، وقد عبّر عن هذا الاعتماد بالصلاة.

لما كنت شاباً حديث العهد بالإيمان المسيحي، كنت أظنُّ أن كل ما عليّ أن أعمله لكي أسلك بالقداسة، هو أن أعرف من الكتاب المقدس ما يريد الله أن أعمله، فأمضي وأعمله. قد يضحك المؤمن الناضج من مثل هذا الافتراض الساذج، لكنني أرى بين المسيحيين المؤمنين شباناً يبدأون مسيرتهم متسلحين بالثقة الذاتية. إنما علينا أن نتعلّم الاتكال على الروح القدس القدير الذي يمدّنا بالقوة لارتقاء أية درجة من درجات القداسة. ومن ثم، إذ نلتمس معونته، لا بّد أن نختبر عمله فينا وهو يكشف لنا خطايانا، ويخلق فينا توقاً للقداسة، ويمدّنا بالقوة حتى نستجيب له بالطاعة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثامن

الطاعة لا النصرة

"لأنه، إن عشتم حسب الجسد فستموتون. ولكن إن كنتم بالروح تُمِيتون أعمال الجسد فستحيون" (رومية ٨: ١٣).

لقد سبق الله فأعدّ لنا عدّة القداسة، وألقى علينا مسؤولية في هذا الأمر. وكما رأينا في الفصلين الخامس والسابع، فإن الإعداد الإلهي يشتمل على تخليصنا من سيادة الخطية، وتوحيدنا مع المسيح، ومنحنا الروح القدس ليسكن فينا، فيكشف لنا الخطية ويولّد فينا توقاً إلى القداسة، ويشددنا في سعينا وراءها. فبقوّة الروح القدس وبحسب الطبيعة الجديدة التي يعطيها، علينا أن نميت أعمال الجسد الفاسدة (رومية ٨: ١٣).

ومع أن الروح القدس هو الذي يقدّرنا أن نميت مفاسدنا، يقول أن هذا من عملنا أيضاً. فالعمل الواحد بعينه هو عمل الروح القدس من جهة وعمل الإنسان من جهة أخرى.

في الفصول السابقة وجّهنا اهتماماً خاصاً إلى جزءٍ من هذا العدد وهو "بالروح". أما في هذا الفصل فنريد أن نلقي نظرة على مسؤوليتنا نحن: "تميتون أعمال الجسد".

وواضح تماماً من هذه الآية أنّ الله يلقي على عواتقنا بشكلٍ قاطعٍ مسؤولية السلوك بالقداسة. فعلينا أن نقوم بعملٍ ما. لا أن "نكفّ عن المحاولة ونعكف على الثقة"، إذ من واجبنا أن نميت أعمال الجسد. ويُطلَب منا مرة تلو الأُخرى في الرسائل، لا رسائل بولس وحدها بل سائر الرسائل أيضاً، أن نضطلع بمسؤوليتنا في السلوك بالقداسة. ويحض بولس أن "أميتوا أعضاءكم التي على الأرض" (كولوسي ٣: ٥). فهذا أمرٌ يُطلب منا أن ننفذه.

يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: "لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا" (عبرانيين ١٢: ١). إنه يقول: "لنطرح الخطية... ولنحاضر بالصبر". فمن الواضح أنه يُتوقع منا أن نتولى القيام بمسؤولية الركض في ميدان السباق المسيحي. ويقول يعقوب أيضاً: "اخضعوا لله. قاوموا إبليس فيهرب منكم" (يعقوب ٤: ٧). فعلينا تقع مسؤولية الخضوع لله ومقاومة إبليس. نحن من يجب أن يفعل ذلك. كذلك يقول بطرس: "اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب في سلام" (٢ بطرس ٣: ١٤). فقوله "اجتهدوا" إنما هو موجه إلى إرادتنا إذ أن هذا أمر يجب أن نقرر نحن بشأن القيام به.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خلال فترة من حياتي المسيحية ظننتُ أن أي مجهود من قِبَلي لأسلكَ في القداسة هو "من الجسد" وأن "الجسد لا يفيد شيئاً". كنت أظن أن الله لن يباركَ أي جهد أبذله لأعيش الحياة المسيحية، تماماً مثلما لا يبارك أي مجهود ذاتي أبذله لأصير مسيحياً بواسطة الأعمال الحسنة. فكما قبلتُ يسوع المسيح بالإيمان، كان عليّ أن أسعى في إثر عيشة القداسة بالإيمان. وكل مجهود شخصي إنما كان عبارة عن اعتراض لسبيل الله. فقد أسأتُ فهم الآية: "ليس عليكم أن تحاربوا في هذه. قفوا اثبتوا وانظروا خلاص الرب" (٢ أخبار الأيام ٢٠: ١٧)، بمعنى أن أفوّض للرب أمر محاربة الخطية في حياتي. بالفعل، ففي حاشية الكتاب المقدس الذي كنت أستعمله آنذاك، كتبت إلى جانب هذه الآية العبارة التالية: "صورة توضيحية للسلوك بالروح".

كم كنتُ غبياً إذ فهمتُ خطأً أن الاعتماد على الروح القدس يعني أن علي ألا أبذل أي مجهود، وأن لا مسؤولية لي في الأمر. حتى أني افترضت خطأً أنّ الرب، إذا ما فوضتُ إليه كل أمري، لا بد أن ينوب عني في التقرير فيختار الطاعة بدلاً من العصيان. وكل ما أحتاجُ إليه هو أن ألتمس القداسة من لَدُنه. ولكن الله لا يتبع هذه الطريقة، بل إنه يُعد لنا عدّة القداسة، ويحمّلنا مسؤولية استعمال هذه العدّة.

إن الروح القدس وُهِب لجميع المؤمنين المسيحيين. ويقول الدكتور مارتن لويد جونز: "إن الروح القدس فينا، وهو يعمل فينا ليمنحنا القوة ويعطينا القدرة... هذا هو تعليم العهد الجديد: (تمموا خلاصكم بخوف ورعدة). فعلينا القيام بهذا. ولكن لنلاحظ التتمة: (لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعلموا من أجل المسرة). فالروح القدس يعمل فينا حتى نريد ونعمل معاً. فلأني لست متروكاً لوحدي، ولست بلا رجاء في العالم، ولمّا كان الروح القدس في داخلي فلذلك أُحَض على أن أُتَمّمَ خلاصي (بخوف ورِعدة)".

يجب أن نتكل على الروح القدس لإماتة أعمال الجسد. وكما كتب لويد جونز في شرحه لرومية ٨: ١٣، فإن الروح القدس هو الذي "يُحدث الفرق بين المسيحية الحقيقية وكلٍّ من آداب السلوك والمبادئ الناموسية والطهورية المزيفة". ولكن الهدف من اتكالنا على الروح القدس ليس أن يعزّز فينا الموقف المعبَّر عنه بالقول: "لا أستطيع أن اعمل هذا" بل موقف القائل: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني". وعلى المسيحي المؤمن ألا يتذرع بحاجته إلى القدرة والقوة. فإذا أخطأنا، نفعل ذلك بمحض اختيارنا وليس لفقدان القدرة على مواجهة التجربة والتغلب عليها.

آن لنا نحن المسيحيين أن نواجه ببسالة مسؤوليتنا في موضوع القداسة. غالباً ما نقول أننا "هُزِمنا" في هذه الخطية أو غيرها. كلاّ، لم نُهزم، بل إنما عصينا وحسب. فيحسن بنا أن نكف عن استعمال ألفاظ من نوع "النصرة" و"الهزيمة" في وصف تقدمنا في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

القداسة، إذ علينا بالأحرى أن نستعمل هنا إما "الطاعة" وإما "العصيان". وعندما أقول إنني "مغلوب" من خطية معينة، فإنما أتملص دون وعي مني، من مسؤوليتي الشخصية. وكأنني أعني أن شيئاً ما خارجاً عني قد غلبني. لكن عندما أقول أنني لم أطع في هذا الأمر أو ذاك، أضع المسؤولية على عاتقي بشكلٍ قاطعٍ. قد تحل بنا الهزيمة فعلاً، ولكن السبب يعود إلى أننا اخترنا العصيان- اخترنا أن نطلق العنان للأفكار الدنسة، أو أن نضمر حقداً، أو أن نستر حقاً.

نحتاج لأن نستجمع شجاعتنا الأدبية فندرك أننا مسؤولون عن أفكارنا، ومواقفنا وتصرفاتنا. نحتاج لأن نحسب حسابنا على أساس واقع كوننا أمواتاً بالنسبة لسيادة الخطية، وكونها قد فقدت سطوتها علينا، وكون الله قد وحدنا مع المسيح المقام بكل قوته، وأعطانا الروح القدس ليعمل فينا. وفقط عندما نتحمل مسؤوليتنا ونستفيد من إعدادات الله وإمداداته نحرز تقدماً ملموساً في سعينا وراء القداسة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل التاسع

إماتة الخطية

"فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض الزنا النجاسة الهوى الشهوة الردية الطمع الذي هو عبادة الأوثان" (كولوسي ٣: ٥).

لا يدع العهد الجديد مجالاً للشك في أن القداسة تقع ضمن نطاق مسؤوليتنا. فإذا أردنا أن نجدّ في إثرها نقوم بعمل حاسم. باحثتُ ذات مرة شخصاً في أمر خطية معينة تورط فيها، فقال: "طالما صليتُ حتى يحثني الله كي أقلع عن هذه الخطية". يحثه لكي يُقلع؟ إن ما قاله هذا الشخص بالفعل هو أن الله لم يقم بكامل واجبه. فمن السهل جداً أن نطلب إلى الله أن يعمل شيئاً بعد، لأن ذلك يؤخر تحملنا لمسؤوليتنا.

أما الخطوة التي يجب أن نتخذها فهي أن نميت أعمال الجسد الفاسدة (رومية ٨: ١٣). ويستعمل بولس العبارة عينها في رسالة أخرى: "فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض" (كولوسي٣: ٥). فما معنى الفعل "أميتوا"؟ معناه: "أبطلوا قوة الشيء وحيويته ونشاطه الوظيفي، عطلوه واجعلوه عقيماً". فأن نميت أعمال الجسد يعني أن نُبطل قوة الخطية وحيويتها في محاولتنا للسيطرة على أجسادنا.

وعلينا أن ندرك أن الإماتة، ولو أنها عملية نقوم نحن بها، لا يمكن إنجازها بقوتنا الذاتية. وقد أحسن جان أوين (John Owen) البيورتاني إذ قال: "إن إماتة الخطية الصادرة عن القوة الذاتية، والمنفذة بطرق يبتدعها المرء بنفسه للبلوغ إلى البر الذاتي، هي جوهر كل ديانة كاذبة ومادتها". فهذه الإماتة ينبغي أن تُنفَّذ بقوة الروح القدس وإرشاده.

ويقول أوين أيضاً: "الروح وحده قادر على أداء هذا العمل. وكل طريقة أو وسيلة من دونه هي عديمة الجدوى. فهو الفعّال الأعظم وهو الذي يهب جهودنا الحياة والقوة".

ومع أن هذه الإماتة يجب أن تتم بقوة الروح القدس وإرشاده، فهي أيضاً عمل يجب أن نقوم به نحن. إذاً لا تتم هذه الإماتة بمعزل عن قوة الروح القدس، ولكن ما لم نعمل نحن بقوته لن تكون إماتة أيضاً.

هنا السؤال الحاسم إذاً: "بأية طريقة نُبطل قوة الخطية وحيويتها؟" إذا ابتغينا القيام بهذا العمل الشاق فلا بد لنا أولاً من الاقتناع الراسخ. فيجب أن نقتنع تماماً بأن حياة مقدسة بحسب إرادة الله لكل مسيحي مؤمن هي أمر فائق الأهمية. ويجب أن نثق بأن السعي وراء القداسة يستحق الجهد والألم المطلوبين لإماتة آثام الجسد. ويجب أن يترسخ في ذهننا أنه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بغير قداسة "لن يرى أحد الرب" (عبرانيين ١٢: ١٤). وليس علينا أن نكوّن قناعة بشأن حياة مقدسة بشكل عام فقط، بل في نواح محددة تنبغي فيها الطاعة أيضاً.

ومثل هذه القناعات تتأتى لنا من خلال تعرضنا لنور كلمة الله. فقد اعتادت عقولنا لوقت طويل قيم هذا العالم. حتى بعد أن نصير مسيحيين حقيقيين، يحاول العالم من حولنا باستمرار أن يجعلنا مشاكلين لنظام قيمه. فتنهال علينا إذ ذاك التجارب من كل حدب وصوب حتى نطلق العنان لطبيعتنا الخاطئة. لهذا قال بولس: "لا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم" (رومية ١٢: ٢).

بكلمة الله وحدها تتجدد أذهاننا وقيمنا. فلما أعطى الله تعليمات بخصوص أي ملكٍ يُقام على إسرائيل مستقبلاً، قال أن نسخة من شريعته الإلهية "تكون معه ويقرأ فيها كل أيام حياته لكي يتعلّم أن يتّقي الرب إلهه ويحفظ جميع كلمات هذه الشريعة وهذه الفرائض ليعمل بها" (تثنية ١٧: ١٩). وقد قال الرب يسوع: "الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني" (يوحنا١٤:١٩). فالطاعة هي السبيل إلى القداسة، ولكننا لا نستطيع أن نطيع وصاياه ما لم تكن عندنا. يجب أن تترسخ كلمة الله في عقولنا بقوة حتى تصبح صاحبة التأثير المسيطر على أفكارنا ومواقفنا وتصرفاتنا. وإحدى الطرق الأكثر فعالية للتأثير في أذهاننا هي استظهار الآيات. وقد قال داوود: "خبأتُ كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك" (مزمور ١١٩: ١١).

ولاستظهار الآيات جيداً لا بد لك من خطة ما، تتضمن نخبة من الآيات مختارة بدقة، ونهجاً عملياً لحفظها، ونظاماً مرتباً لمراجعتها كي تبقى راسخة في ذاكرتك، وقواعد سهلة لمتابعة استظهار الآيات بمفردك.

أنا أعرف من خبرتي الشخصية مدى أهمية خطة كهذه. وقد وعيتُ بالفطرة أهمية كلمة الله في حياتي وأنا بعد شاب على مقاعد الدراسة، فكنت أستظهر بعض الآيات على نحو متقطع وكيفما اتفق، دون أن أجني فائدة تُذكر، إلى أن عرَّفني أحدهم ذات يوم "خطة الاستظهار الموضوعية" التي يتبعها "الملاحون"، فشرعت باتباع نهج منتظم لاستظهار الآيات من هذه الخطة البسيطة الفعالة في خبء كلمة الله في قلبي.

طبعاً، إن الهدف من حفظ الآيات هو أن نطبق تعليم الكتاب المقدس في حياتنا اليومية. وبتطبيق كلمة الله على مختلف نواحي الحياة، نكتسب قناعة راسخة تساعدنا في مواجهة التجارب التي يسهل أن نتعثر بفخاخها.

لسنوات خلت كنت أعيش وزوجتي في مدينة كنساس التابعة لولاية ميسوري، وأعمل في الضفة الأخرى من النهر، في مدينة كنساس التابعة لولاية كنساس. وباعتباري موظفاً في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولاية كنساس كانت ضريبة الدخل لتلك الولاية جارية عليّ، ولكن لأني كنت أقطن في ولاية ميسوري فلم يكن واجباً أن أؤدي الضريبة قبل نهاية السنة. ثم انتقلنا ذات سنة إلى ولاية كولورادو في شهر تموز، وفي نهاية السنة تذكرتُ أني مدين لولاية كنساس بضريبة دخل لسبعة أشهر. وأول ما تبادر إلى ذهني أن أنسى هذا الأمر، ثم أن المبلغ كان ضئيلاً نسبياً وما كان أحد ليلحقني إلى كولورادو لجبايته. غير أن الروح القدس أعاد إلى ذاكرتي آية حفظتها في السابق. "فأعطوا الجميع حقوقهم. الجزية لمن له الجزية" (رومية ١٣: ٧). وهكذا أقنعني الله في قلبي بواجبي في تأدية الضريبة الواجبة لولاية كنساس بدافع الطاعة لله. في ذلك اليوم أعطاني الرب بخصوص الضرائب قناعة راسخة أثّرت فيّ وتحكمت في تصرفاتي منذ ذلك الحين.

تلك هي الطريقة التي بها نكتسب القناعات- باستحضار ما تقوله كلمة الله بشأن مواقف شتى تنشأ في حياتنا، وتحديد مشيئة الله في هذه المسألة أو تلك في ضوء كلمته.

يتناول الكتاب المقدس بصراحة كثيراً من القضايا المتعلقة بالحياة العملية ونفعل حسناً عندما نستظهر آيات تدور حول هذه القضايا. مثلاً، تتجلى بوضوح المشيئة الإلهية بخصوص الاستقامة والصدق: "لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه... لا يسرق السارق في ما بعد" (أفسس ٤: ٢٥-٢٨). كذلك أيضاً توصف بصراحة مشيئة الله في ما يتعلق بالامتناع عن الزنى: "لأن هذه إرادة الله قداستكم. أن تمتنعوا عن الزنا" (١ تسالونيكي ٤: ٣). فمن اليسير أن نكوّن قناعات في مثل هذه القضايا المذكورة بمنتهى الوضوح، إذا كنا نرغب حقاً في إطاعة الله.

ولكن ما العمل بالنسبة إلى الأمور التي لا تحدَّد صراحة في الكتاب المقدس: كيف نعرف مشيئة الله ونكوِّن القناعات في مثل هذه النواحي؟

وصف لي صديق منذ زمن بعيد ما أسماه "قاعدتي في تمييز الحق من الباطل". وهذه القاعدة تطرح أربعة أسئلة ترتكز على ثلاث آيات من رسالة كورنثوس الأولى.

- "كل الأشياء تحل لي لكن ليس كل الأشياء توافق" (١ كورنثوس ٦: ١٢).

* السؤال الأول: هل هذا الأمر موافق أو نافع جسدياً وروحياً وعقلياً؟

- "كل الأشياء تحل لي لكن لا يتسلط عليَّ شيء"(١ كورنثوس ٦: ١٢).

* السؤال الثاني: أمن شأن هذا أن يتسلط عليَّ؟

- "لذلك إن كان طعام يعثر أخي فلن آكل لحماً إلى الأبد" (١ كورنثوس ٨: ١٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

* السؤال الثالث: هل يؤذي هذا الآخرين؟

- "فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله" (١ كورنثوس ١٠: ٣١).

* السؤال الرابع: هل هذا لمجد الله؟

قد تبدو هذه الوصفة بسيطة، لكنها فعالة في تكوين القناعات إذا شئنا استعمالها. وقد تتطلب هذه الأسئلة بحثاً جدياً. ولكن طرحها واجب إذا أردنا اتباع القداسة سيرة لنا في كل شيء.

فلنطبق هذه المبادئ على بعض القضايا النموذجية ولنأخذ مثلاً برامج التلفزيون التي تشاهدها. هل هي نافعة جسدياً وروحياً وعقلياً؟ قد يأتي الجواب "نعم" لبعض البرامج، و"لا" لغيرها إذا جاوبت بإخلاص، وعندئذ يجدر بك أن تمتنع عن مشاهدة هذه الأخيرة.

أما السؤال: أمن شأن هذا أن يتسلط عليَّ؟ فقد تطبّقه فوراً على عادات منكرة كإدمان الخمر وتعاطي المخدرات أو التدخين، وتشعر أن هذا لا يسري على حالتك. ولكن لنرجع إلى جهاز التلفزيون. هل خلبت بعض البرامج لُبَّك فأضحيتَ حريصاً على ألا تفوتك؟ وإذا كان الأمر كذلك فإن هذه البرامج قد تسلطت عليك. وإليك مثلاً آخر: أعرف سيدة مسيحية مؤمنة كانت في سن المراهقة بطلة في كرة المضرب وقد تعلقت بهذه الرياضة حتى أصبحت محور حياتها مع كونها شابة مؤمنة. وعندما أخذتْ تفكر مليَّاً بمطالب التلميذة المسيحية، أدركتْ أن كرة المضرب تتسلط عليها وتعوقها عن اتباع المسيح كلياً. فاتخذت قراراً أن تضع جانباً مضرب الكرة حتى تكسر شوكة سلطتها عليها. ولم تستأنفْ هذه الرياضة إلا بعد سنوات، وبعدما كان انجذابها إليها قد زال نهائياً، وذلك لمجرد الترفيه وبكل راحة ضمير.

هذا المثل الإيضاحي عن لاعبة كرة المضرب يشدد على حقيقة مهمة. فربما لا يكون النشاط بحد ذاته خاطئاً، ولكن الخطية تكمن في استجابتنا لهذا النشاط. ويقيناً أن لعبة كرة المضرب غير مضرة أخلاقياً. وفي ظل الظروف المناسبة تكون مفيدة جسدياً. لكن لأن هذه المرأة جعلتها صنماً في حياتها، أضحت خطية بالنسبة إليها.

ولننظر في السؤال التالي: "هل يؤذي هذا الآخرين؟" في إطار قصة لاعبة المضرب عينها، لنفترض أن مؤمناً مسيحياً آخر يستمتع بممارسة هذه الرياضة فقط للترفيه عن النفس، وأصر لهذه المرأة أن لا ضرر في هذه الرياضة. فقد يكون على حق من الناحية التقنية، لكنه إنما يشدد على وجهة نظر تضر بهذه السيدة في حياتها الروحية. هكذا الحال في العديد من النشاطات التي قد تكون بحد ذاتها غير مضرة أخلاقياً، ولكن لسبب ما قد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يكون من ارتباط لها في الذهن لا أخلاقي بحياة المرء الماضية، فهي تسبب ضرراً ولو إلى حين. وينبغي للذين لا يعانون من وطأة مثل هذا الارتباط غير الأخلاقي أن يراعوا شعور الآخرين حتى لا ينزلقوا ثانية في نشاطات تضر بهم.

ولكن ما هي الحال بالنسبة إلى النواحي التي تختلف فيها آراء المؤمنين المسيحيين في قناعاتهم بخصوص الإرادة الإلهية في شأن ما؟ يتناول بولس هذه المسألة في رومية ١٤، حيث يعالج موضوع تناول بعض الأطعمة. وهو يرسي ثلاثة مبادئ عامة تهدينا في هذا الأمر. المبدأ الأول ألا ندين الذين تختلف قناعاتهم عن قناعاتنا (الأعداد ١-٤). والمبدأ الثاني أن قناعاتنا، كائنة ما كانت، يجب أن تكون "للرب"، أي أن تكون مكونة بدافع من الطاعة لرب (الأعداد ٥-٨). أما المبدأ الثالث فهو الثبات على القناعات التي تكونت لدينا بالنظر لطاعة الرب (العدد ٢٣). ونحن نخطئ إذا خالفنا هذه القناعات رغم أن الآخرين قد يصطنعون لأنفسهم الحرية التامة في المجال عينه.

مضت سنوات وأنا أجاهد السؤال كيف أحافظ وعائلتي نهار الأحد بوصفه يوم الرب. ففي بداية حياتي المسيحية تعلمت أن نهار الأحد هو يوم مقدس، وأن علينا أن نكيف نشاطاتنا وفق هذا المبدأ. على أني أدركت سريعاً أن بين المؤمنين المسيحيين المخلصين اختلافاً في الرأي عميقاً حول كيفية حفظ يوم الأحد. فتطبيقاً لمبادئ رومية ١٤ على هذه المسألة، علي أولاً ألا أدين الذين لا يوافقونني على رأيي في حفظ الأحد. وثانياً، مهما كانت قناعاتي ينبغي أن تكون نابعة من استجابتي الصادقة بالطاعة لكيفية إرشاد الله لي. وأخيراً، بعد أن أكون قناعاتي الخاصة، علي أن أحرص على ألا أخالفها، بغض النظر عما قد يعمله غيري من المؤمنين المسيحيين.

والسؤال الواجب طرحه في السعي الجدي وراء حياة القداسة هو التالي: "هل أنا مستعد لأن أكون قناعاتي الخاصة من الكتاب المقدس وأن أعيش بموجبها؟". هنا يكون المحك في الأغلب. فنحن نتردد في أن نواجه ببسالة المقياس الإلهي للقداسة في ناحية معينة من حياتنا، لأننا نتعلم أن هذه الخطوة تقتضي طاعة لا ننوي تقديمها.

وهذا يقودنا إلى الصفة الثانية التي يجب أن نتحلى بها إذا أردنا أن نميت أعمال الجسد، ألا وهي الالتزام. قال يسوع: "كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لوقا ١٤:٣٣). فيجب أن نواجه بإخلاص وصدق هذا السؤال: "هل أنا مستعد للتخلي عن تصرف أو عادة تعيقني عن القداسة؟ عند هذا الحد من مواجهة الالتزام يخفق معظمنا. فنحن نميل لأن نداعب الخطية ونلاعبها محاولين ألا نتردى في مهاويها العميقة.

إننا نشكو من تلك العلة المعبر عنها بالقول: مرة واحدة بعد، فنود أن نلقي بعد نظرة واحدة لا غير قطعة حلوى كبيرة قبل أن نبدأ نظام حمية أو نشاهد بعد برنامجاً تلفزيونياً آخر قبل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أن نباشر دراسة الكتاب المقدس. وفي هذه الحالات كافة، نحن نؤجل موعد الالتزام الذي فيه نقول للخطية "كفى".

أذكر جيداً عندما كلمني الله بخصوص فرط شهيتي في تناول الحلوى. لم أكن بديناً، إنما لم يكن بمقدوري أن أرفض أي نوع من الحلوى يقدم إلي، فأنا دائماً من أولئك الذين يتناولون قطعة حلوى ثانية في أثناء فترات الشراكة في الكنيسة. وفي صبيحة يوم، وسط احتفالات عيد الميلاد، وقد كانت أصناف الفطائر والحلويات عديدة ومتنوعة كلم الرب قلبي بشأن هذا الموضوع. وكانت استجابتي الأولية: "انتظر يا رب مرور فترة العيد، ومن ثم أعالج هذه النقطة" فلم أكن مستعداً يومئذ لاتخاذ أي التزام.

ويفيدنا سليمان أن عيني الإنسان لا تشبعان (أمثال ٢٧:٢٠)، فنظرة نجسة أخرى أو قطعة حلوى أخرى لا تشبع أبداً. وفي الواقع أن ما يحصل هو العكس تماماً. فكل مرة نقول "نعم" للتجربة تجعل أصعب علينا أن نقول "لا" المرة الثانية.

علينا أن ندرك أننا قد اكتسبنا عادات نموذجية فغي الخطية. كأن نكون قد اكتسبنا عادة ستر الحقيقة عندما يكون ذلك لخيرنا، أو عادة الاستسلام إلى الكسل الذي يمنعنا من الاستيقاظ في الصباح. فينبغي لنا أن نبطل هذه العادات ولكن هذا لا يحصل ما لم نلتزم التزاماً أساسياً أن نسلك في القداسة دائماً دون أي استثناء. يقول الرسول يوحنا: "يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا" (١ يوحنا ٢:١)، فالهدف الذي يرمي إليه من كتابة رسالته أساساً هو ألا نخطئ. وفي أحد الأيام، بينما كنت أدرس هذا الإصحاح أدركت أن هدف حياتي في ما يختص بالقداسة كان أقل من مطلب يوحنا. فإن مؤدى قوله بالفعل: "اجعلوه هدفاً ألا تخطئوا". ولما فكرت بهذا، أدركت أن هدفي الحقيقي في صميم قلبي كان ألا أخطئ كثيراً. ووجدت من الصعب أن أقول: "نعم يا رب، من الآن فصاعداً سأجعل هدفي ألا أخطئ" وقد أيقنت أن الله كان يدعوني في ذلك النهار إلى مستوى من التزام القداسة أعمق مما كنت راغباً فيه قبلاً. هل نتصور أن جندياً يتأهب للمعركة وهو يأمل أن "لا يصاب كثيراً؟" إن مجرد افتراض كهذا هو سخيف. فإن هدفه هو ألا يصاب البتة. بيد أننا، ما لم نلتزم عهداً بالسلوك في القداسة دائماً وبلا استثناء، نشبه ذلك الجندي الذي يذهب إلى ساحة القتال وهو يهدف ألا يصاب كثيراً. فليتأكد لنا أنه إن كان هذا هدفنا سوف نصاب ليس برصاص بل بالتجارب مرة تلو الأخرى.

كان من عادة يوناثان ادواردز (Jonathan Edwards) وهو أحد كبار المبشرين في بداية تاريخ أمريكا، أن يتخذ قراراً بعد قرار. وكان واحداً منها: "صممتُ ألا أقوم بتاتاً بعمل أخاف أن أقوم به في آخر ساعة من حياتي" فهل نجرؤ نحن، مؤمني القرن العشرين المسيحيين، أن نتخذ قراراً مماثلاً؟ أنحن مستعدون للتعهد بممارسة القداسة دون استثناء؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ليس من داع لأن نصلّي طلباً للانتصار على التجربة إذا لم نكن راغبين في التزام عدم الاستجابة لها.

فعندما نتعلم التنكر للتجربة، عندئذ فقط نميتُ أعمال الجسد. هذا التعلم هو عادة بطيء وشاق ويساوره الإخفاق. إذ من الصعب أن نقتلع عاداتنا القبيحة ورغباتنا القديمة، لأن التخلي عنها يقتضي مواظبة تحرز في الأغلب نجاحاً ضئيلاً. ورغم كل الآلام، يبقى هذا هو السبيل الوحيد الذي يجب أن نسير فيه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل العاشر

أهمية تدريب الذات

"وأما الخرافات الدنسة العجائزية فارفضها وروض نفسك للتقوى" (١ تيموثاوس ٤:٧).

من الجائز أن نوطد بعض القناعات في ما يختص بحياة القداسة، وأن نتعهد أيضاً تعهداً نهائياً في هذا الصدد، ومع ذلك نخفق في تحقيق الهدف. فالحياة ملأى بالقرارات المتناقضة. إذ قد نقرر بنعمة الله أن نقلع عن عادة خاطئة معينة، كإطلاق العنان للأفكار النجسة أو انتقاد الإخوة أو غير ذلك، لكننا واحسرتاه كثيراً ما نخفق فلا نبلغ في حياة القداسة التقدم الذي طالما تُقنا إليه.

يضع جاي آدامس إصبعه على لب المشكلة عندما يقول: "لعلك سعيت بكل جد للحصول على تقوى فورية. فاعلم أنه لا وجود لأمر كهذا... إننا نريد أن يعين لنا أحدهم ثلاث خطوات سهلة لإحراز حياة التقوى فنخطوها بأقصر وقت وإذا بنا أتقياء. ولكن ما يزعج خواطرنا أن التقوى لا تتأتى بهذه الطريقة".

ويتابع آدمس ليبين أن طريق التقوى هو ترويض المؤمن المسيحي لنفسه. إلا أن مفهوم الترويض الذاتي أو الانضباط في مجتمعنا الحاضر مشكوك فيه، إذ يبدو مناقضاً لتشديدنا على الحرية التي لنا في المسيح، وتبدو عليه في الأغلب بصمات الروح الناموسية والتزمت.

رغم ذلك يوصينا بولس بأن نروّض أو نمرّن أنفسنا للتقوى (١ تيموثاوس ٤: ٧). وقد استعار بولس هذه الصورة المجازية من الترويض البدني الذي كان يمارسه رياضيو الإغريق. وقد قال في موضع آخر: "كل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء" (١ كورنثوس ٩: ٢٥). وأضاف أن هذا هو النهج الذي يتبعه لحياته، والذي ينبغي لكل مؤمن مسيحي أن يتبناه (١ كونثوس ٩: ٢٤- ٢٧). وقال أنه إذا كان الرياضي يروض نفسه لينال جائزة فانية، فكم بالحري يجدر بنا نحن المؤمنين المسيحيين أن نروض أنفسنا لكي ننال إكليلاً لا يفنى.

فالترويض كما يُستفاد من هذه الآيات، هو التدريب النظامي المدروس. ومن معاني الترويض والتدريب في هذا المجال، التصويب والتكميل والتنشئة الموجهة ناحية الملَكات العقلية أو الخلق الشخصي. وهذا ما يجب أن نعلمه إذا كنا نسعى في إثر القداسة: أن نعمل على تصويب خلقنا الشخصي وتكميله وتنشئته.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والتدريب على القداسة يبدأ بكلمة الله. فقد قال بولس: "كل الكتاب هو موحىً به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر" (٢ تيموثاوس ٣: ١٦). فهذا ما يساعدنا عليه الكتاب المقدس إذا استخدمناه. ويقول جاي آدمس: "بالطاعة الراغبة والدائمة لمطالب كلمة الله، مع المواظبة على الصلاة، تنمو لدينا قيم التقوى وتتأصل فينا كجزء منا لا يتجزأ".

نقرأ في الكتاب المقدس: "عُلِّمتم... أن تخلعوا... الإنسان العتيق... وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق" (أفسس ٤: ٢٢ -٢٤). وأين عُلِّمنا هذه الأمور؟ في كلمة الله فقط. إذاً فالتدرب للقداسة ينطلق من الكتاب المقدس- بخطة منتظمة للتزود الدائم من الكلمة وخطة ثابتة لتطبيقها في حياتنا اليومية.

وتعاوننا هنا مع الروح القدس جلي تماماً، ويمثل الرسم البياني التالي كيفية تفاعلنا مع الروح القدس:

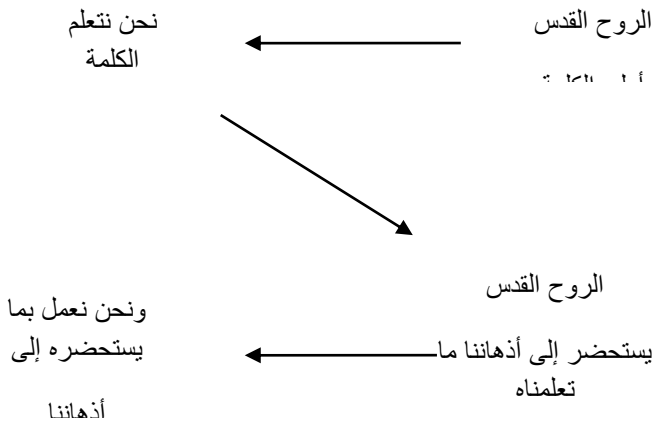

فقد أنجز الروح القدس الجزء الأكبر من خدمته إذ زودنا بالكلمة كي تدربنا. وإذ نتعلم الكلمة، يستحضرها هو بكل أمانة إلى أذهاننا عندما نحتاج إليها في مواجهة التجارب. وفيما نسعى إلى العمل بكلمته في مختلف المواقف اليومية، يعمل فينا لتقويتنا. ولكن علينا أن نستجيب لما سبق أن أنجزه الروح القدس إذا أردنا أن نتوقع قيامه بالمزيد.

نرى إذن من واجبنا أن ندرّب حياتنا على الاغتذاء المنتظم بكلمة الله. فنحن نحتاج لأن نخصص وقتاً في كل يوم لقراءة الكتاب المقدس أو دراسته. وكل مؤمن مسيحي أحرز تقدماً في طريق القداسة هو شخص نظم حياته بحيث يمضي فترة دورية وهو عاكف على منهل الكتاب المقدس. فبكل بساطة، ليس من سبيل غير هذا إلى اتباع القداسة. إن إبليس يحاربنا دوماً ليثنينا عن هذه الخطوة. فلسوف يسعى إلى إقناعنا بأننا نشكو النعاس في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الصباح، وكثرة الأشغال خلال النهار، والإرهاق في الليل. فيظهر أنه ليس من وقت مناسب لكلمة الله. وهذا يعني أنه ينبغي أن ندرب نفوسنا لنخصص وقتاً لذلك من برامجنا اليومية. وقد تبين لي أن ساعة الصباح الباكرة قبل الفطور أنفع وقت أمضيه في قراءة الكلمة والصلاة. ولكن هذه الساعة من النهار هي أيضاً الوقت الوحيد الذي فيه أستطيع أن أمارس بانتظام رياضتي المفضلة، وهي العدو الخفيف. وحتى أنجز كل هذا قبل الفطور يجب أن أستيقظ في الساعة الخامسة. وبما أني أحتاج لسبع ساعات من النوم ليلاً، فهذا معناه أن أخلد إلى النوم في الساعة العاشرة مساء. وهذا الأمر صعب ولا أقوى على إنجازه إلا عندما أدرب نفسي على تنظيم وقت المساء.

وتجد بعض ربات البيوت هذا الوقت الصباحي غير ملائم، ولا سيما إذا كان عليهن الاعتناء بسائر أفراد العائلة منذ الصباح الباكر. في هذه الحال، يجدن أن فترة ما بعد الفطور مباشرة هي أنسب وقت لقضاء خلوة مع الله. وهذا أيضاً يقتضي تدرباً لنترك كل شيء جانباً لفترة قصيرة، ما دامت مسؤوليات النهار تستوجب كامل انتباهنا.

فإن كان قبل الفطور أو بعده، صباحاً أو مساء، فالهدف هو أن ندرج في برنامجنا اليومي وقتاً مخصصاً للتزود من كلمة الله.

والتزود المنتظم من كلمة الله يستلزم علاوة على الوقت المنظم منهاجاً منتظماً. وعادة نظن أن طرق التزود من كلمة الله إنما هي أربع: سماع الكلمة تُفصَّل من قبل الخدام والمعلمين (إرميا ٣:١٥)؛ قراءتنا الفردية للكلمة (تثنية ١٧:١٩)؛ دراسة الكلمة بجد ومثابرة (أمثال ٢:١-٥)؛ استظهار مقاطع مهمة منها (مزمور ١١٩: ٨). هذه الطرق كلها ضرورية للتزود المتوازن من الكلمة. فالرعاة حاصلون على الموهبة من لدُن الرب وقد تدربوا على التعليم "بكل مشورة الله". وقراءة الكلمة تؤتينا نظرة إجمالية في الحقائق الإلهية، فيما نتمكن بدراسة مقطع أو موضوع خاص من الغوص في أعماق حقيقة معينة. أما استظهار الكلمة فيساعدنا على تذكر الحقائق المهمة بحيث يمكننا أن نعمل بها في سلوكنا.

ولكن إذا أردنا السعي وراء القداسة بانضباط ذاتي، ينبغي لنا ألا نكتفي بسماع الكلمة أو قراءتها أو دراستها أو استظهارها. إذ يجب أن نتأمل فيها. وقد قال الرب ليشوع عندما كان يستعد لتولي قيادة شعب إسرائيل: "لا يبرح سفرُ هذه الشريعة من فمك بل تلهج فيه نهاراً وليلاً لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه" (يشوع١ : ٨). والتأمل في كلمة الله هو أن ننعم النظر فيها ونقلبها في أفكارنا ونطبقها في مواقف حياتنا. فقليل منا من يمارس هذا التأمل. قد تبدو فكرة التأمل أشبه بما كان يفعله نُسّاك الأديرة في القرون الوسطى. على أن يشوع، القائد الأعلى لجيش إسرائيل، أُمر رغم مهماته الجسام بأن يتأمل ملياً بشريعة الله، نهاراً وليلاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن عادة التأمل في كلمة الله، وهي بكل بساطة أن يشغلنا التفكير بالكلمة وتطبيقها في الحياة العملية، هي عادة نكتسبها بالتدرب. وفيما يظن معظمنا أنه يعوزنا الوقت لهذه الأمور، نجد أن في النهار أوقاتاً يمكن استخدامها للتأمل إذا تكونت لدينا هذه العادة.

كنت من المتحمسين لسماع الأخبار اليومية، ويلذ لي الاستماع إلى نشرات الأخبار بالراديو وأنا أقود سيارتي في طريقي إلى العمل أو البيت أو أي مكان آخر. وقد حُفِّزْتُ يوماً على الاقتداء بصديق لي كان ينتهز هذا الوقت للتأمل في آيات من الكتاب المقدس. والآن أتعجب لكثرة الدقائق التي أقضيها متأملاً في آيات من الكتاب المقدس وفي تطبيقها العملي في حياتي. وربما لا تسنح لك مثل هذه الفرصة للتأمل في أثناء القيادة، لكن إذا فكرت في الأمر بروح الصلاة قد تجد فرصاً أخرى توافق برنامجك.

أما الغرض من تأملنا فهو تطبيق كلمة الله عملياً، أي إطاعتها. وهذا أيضاً يقتضي انضباطاً وتدرباً. إذ غالباً ما تفرض علينا كلمة الله أن نجري تغييراً في مناهج حياتنا. فلأننا خطاة بالطبيعة، تكونت لدينا مناهج شريرة ندعوها عادات. ولا غنى عن الانضباط للإقلاع عن أية عادة. فإذا كان فتى قد اعتاد استعمال مضراب البايسبول بأسلوب خاطئ فلا يعود بإمكانه أن يغير أسلوبه بسهولة. فقد نمتْ لديه عادة معينة حتى بات يحتاج إلى تدريب مكثف ينطوي على الكثير من التصويب والترويض لإبطال تلك العادة القديمة واكتساب أخرى جديدة.

وبالطريقة عينها، فإن مناهجنا في عصيان الله قد ترسّخت عبر سنين عديدة ولا يمكن إبطالها بسهولة أو بلا ترويض وتدريب. ولا يعني أن نصرّ بأسناننا ونصرخ: "لن أعيد ذلك أبداً". بل إن التدرب يعني بالأحرى تمرناً مبرمجاً ونظامياً. فكما تحتاج إلى خطة لقراءة الكتاب المقدس أو دراسته بانتظام، كذلك تحتاج إلى خطة لتطبيق كلمة الله في حياتك العملية.

وفيما أنت تقرأ كلمة الله أو تدرسها ثم تتأمل فيها خلال النهار، اسأل نفسك الأسئلة التالية:

١- ماذا يعلمني هذا المقطع بشأن مشيئة الله بخصوص حياة مقدسة؟

٢- أين حياتي من مستوى هذا المقطع؟ وفيما أقصّر خصوصاً دون بلوغ الهدف، وكيف؟ (لا تتكلم بشكل عام بل حدّد).

٣- أية خطوات عملية أحتاج لأن أخطوها في سبيل الطاعة؟

والجزء الأهم في هذه العملية المتكاملة هو التطبيق المحدد لكلمة الله في مختلف مواقف حياتنا. فعند هذه النقطة نميل إلى الإبهام لأن التزام خطوات معينة يزعجنا. ولكن علينا أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نبتعد عن الوعود العامة بالطاعة ونهدف عوضاً عن ذلك إلى الطاعة المحددة في حالات معينة. ونحن نخدع نفوسنا عندما ننمو في معرفة الحق دون الاستجابة له على نحو محدد (يعقوب ١: ٢٢)، مما قد يفضي إلى الانتفاخ روحياً (١ كورنثوس ٨: ١).

لنفترض أنك كنت تتأمل في الأصحاح الثالث عشر من رسالة كورنثوس الأولى، أصحاح المحبة العظيم. وبينما أنت تفكر في هذا الفصل، تدرك أهمية المحبة والتعبيرات العملية عنها: "المحبة تتأنى وترفُق. المحبة لا تحسد". وتُسائِل نفسك: "هل أنا غير صبور وغير مترفق تجاه أحد، أو هل أحسد أحداً ؟" وفيما أنت تفكر بهذا، تدرك أنك تحسد يوسف زميلك في العمل الذي على ما يبدو يحظى بالفرص السعيدة كلها. فتعترف بهذه الخطية للرب بالتحديد وتسمي يوسف باسمه وردة فعلك الخاطئة إزاء حظوته. وتسأل الله أن يغدق عليه بركاته وأن يعطيك أنت روح الرضى والقناعة لتقلع عن حسدك له وتكنَّ له المحبة، ولك أن تستظهر ١كورنثوس ١٣: ٤ وتفكر بها عندما تلتقي يوسف في العمل، بل تبحث أيضاً عن طرق لمساعدته. ثم تكرر هذا في اليوم التالي وما بعده إلى أن يضع الله في قلبك روح المحبة تجاه يوسف.

هذا هو التدرب في سبيل القداسة. فلم يتأتى لك البتة أن تمُيت روح الحسد تجاه يوسف دون خطة منهجية محددة. هذه الخطة هي من قبيل ما نسميه انضباطاً وتدرباً.

وقد يتبين لك سريعاً أن هذه الخطة المنهجية للسلوك في القداسة هي عملية تستمر مدى الحياة. ذلك أن المواظبة من أكثر مقومات التدرب أهمية. وكل تدرب سواء كان جسدياً أو فكرياً أو روحياً، يتميز في مراحله الأولى بالفشل. ويكون الفشل في الأغلب أكثر من النجاح. لكن إذا واظبنا، نلاحظ التقدم تدريجياً حتى نبدأ بالنجاح فيخف الإخفاق. ويصح هذا عندما نحاول أن نميت خطية معينة. فيبدو لنا أول الأمر أننا لم نحرز أي تقدم، فتهن عزيمتنا، ونقول: ما المنفعة؟ لن أستطيع أن أتغلب على هذه الخطية. وهذا بالضبط ما يريد إبليس أن نفكر فيه.

عند هذا الحد بالذات يجب أن نمارس المواظبة. فنحن ما نزال نرغب في النجاح الفوري، ولكن القداسة لا تتحقق على هذا النحو لأن عاداتنا الخاطئة لا تبطُل بين ليلة وضحاها. فالمتابعة هنا أمر ضروري لإحداث أي تغيير في حياتنا، ولا بد من المثابرة على المتابعة حتى الإنجاز.

إن يوناثان إدواردز الذي صمم ألا يقوم بعمل يخاف أن يقوم به في آخر ساعة من حياته، عقد العزم أيضاً على القرار التالي: "قررتُ ألا أستسلم أو أتهاون في جهادي مع فساد قلبي مهما كان مقدار فشلي". ويبدو أول وهلة أن هذين القرارين متناقضان. فما دام إدواردز قد صمم ألا يفعل أمراً رديئاً، فلماذا يتكلم عن المواظبة في المعركة بغض النظر عن مدى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فشله؟ ألم يكن مخلصاً عندما تعهد بأول تصميم؟ بلى، كان مخلصاً، ولكنه علم أنه سيواجه الفشل ولذلك لا بد من المثابرة. وعليه، فقد نوى أولاً أن يجتهد كي يعيش حياة مقدسة، ثم أن يواظب رغم السقطات التي توقّع حدوثها.

في كلمة الله آية أستخدمُها دائماً لمواجهة فشلي في محاربتي للخطية وهي واردة في سفر الأمثال ٢٤: ١٦؛ "لأن الصدِّيق يسقط سبع مرات ويقوم. أما الأشرار فيعثرون بالشر". فالإنسان الذي يدرب نفسه في مسيرته نحو القداسة يسقط عدة مرات، لكنه لا يتراجع. فبعد كل سقطة ينهض ويوالي الجهاد. لكنه الأمر مختلف بالنسبة إلى الأشرار. الشرير يعثر بخطيته ويستسلم. فهو لا يملك قوة للتغلب عليها، لأن ليس له روح الله القدوس يعمل في داخله.

كان أشعياء نبياً لله يسلك في بر وصاياه. لكنه لما رأى الرب الإله في قداسته اضطر أن يصرخ: "ويل لي إني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود" (أشعياء ٦: ٥) .

فبينما ننمو في معرفة قداسة الله، ولو كنا ننمو أيضاً في ممارسة القداسة، يبدو لنا أن الثغرة بين معرفتنا وممارستنا آخذة في الاتساع. وهذا هو أسلوب الروح القدس في اقتيادنا إلى المزيد من القداسة.

كلما تقدمنا في القداسة أبغضنا الخطية (مزمور ١١٩: ١٠٤)، وأيقنا أن وصاياه ليست ثقيلة علينا (١ يوحنا ٥: ٣). فإذا أردنا النجاح في حياة القداسة ينبغي علينا أن نواظب رغم المفشلات والسقطات.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الحادي عشر

القداسة في الجسد

"بل أقمع جسدي وأستعبده حتى بعدما كرزتُ للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً" (١ كورنثوس ٩:٢٧).

تتضمن القداسة الحقيقية السيطرة على أجسادنا وشهواتنا. فإذا أردنا السعي في نهج القداسة علينا أن ندرك أن أجسادنا هي هياكل للروح القدس وعلينا أن نمجد الله بها.

إن المؤمنين المسيحيين في القرن العشرين ولا سيما أولئك الذين يعيشون في الغرب، هم دون المستوى المطلوب من حيث القداسة في الجسد. فالشراهة والكسل مثلاً، كانا يُعتبران من الخطايا في نظر المسيحيين الأولين. أما اليوم فقد ننظر إليهما باعتبارهما ضعفاً في الإرادة، ولكننا لا نعدّهما من باب الخطية بالضرورة. حتى أننا نطلق النكات أحياناً عن إفراطنا في تناول الطعام أو إطلاق العنان لرغبات أخرى، بدلاً من أن نصرخ إلى الله معترفين تائبين.

صحيح أن الله خلق أجسادنا المادية وشهواتنا الطبيعية وهي ليست خاطئة بحد ذاتها. إلا أننا إذا لم نمارس السيطرة على أجسادنا، نجدها تتحول إلى "آلات إثم للخطية" بدل أن تكون "آلات بر لله" (رومية ٦:١٣). ونكون عندئذ ساعين وراء "شهوة الجسد" (١ يوحنا ٢: ١٦). عوضاً عن القداسة. وإذا راقبنا أنفسنا عن كثب، لاحظنا أننا غالباً ما نأكل ونشرب فقط لإشباع رغبة جسدية؛ وكثيراً ما نستلقي في السرير عند الصباح لأننا لا "نشعر" برغبة في النهوض باكراً، وغالباً ما نستسلم للنظرات والأفكار النجسة لمجرد إشباع الغريزة الجنسية المدنسة بالخطية.

يقول مايكل كويست (Michel Quist) في كتابه "الاستجابة المسيحية" (Christian Response): "إذا كان جسدك هو الذي يتخذ كل القرارات ويصدر كل الأوامر، وإذا كنت تقدم له الطاعة، فإن الجانب الجسدي سيدمر فعلاً كل الأبعاد الأخرى في شخصيتك، وتفقد حياتك العاطفية حسها المرهف. وتخمد جذوة حياتك الروحية، حتى تغدو في النهاية ضعيفاً هزيلاً". ومنذ أكثر من مئتي عام كتبت السيدة وسلي: "إن أي شيء يزيد قوة جسدك وسلطانه على ذهنك فهو لك خطية".

يشدد الرسول بولس على أهمية لجم غرائزنا ورغباتنا الطبيعية. وقد شبه جسده بالخصم باعتباره الآلة التي تستخدمها غرائزه وشهواته لمحاربة نفسه إن كان لا يقمعه (١

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كورنثوس ٩: ٢٧). وقد صمم أن يجعل جسده هذا مع رغباته وغرائزه عبداً له لا سيداً عليه.

ويحثنا بولس في موضع آخر أن نقدم أجسادنا ذبيحة حية مرضية عند الله وألا نشاكل هذا الدهر (رومية ١٢: ١و٢). ولربما كانت المشاكلة القائمة اليوم بين العالم وبعض المسيحيين الإنجيليين واضحة فاضحة، إذ بدلاً من أن نقدم أجسادنا ذبيحة مقدسة ندللها ونطلق لها العنان مخالفين الحكم الذي تمليه علينا ضمائرنا ومعاكسين الهدف المسيحي لحياتنا.

وهنا لست أخص بالذكر من يعانون مشكلة البدانة. فإن الكثيرين منا يأكلون ما طاب لهم دون أن يصابوا بالبدانة، ولكنهم قد يكونون مستعبدين للشراهة وإطلاق العنان لشهوات الجسد أكثر من الشخص الذي يجاهد، ويُخفق في الأغلب، ليضبط فرط شهيته للطعام. ومن الناحية الأخرى، فإن البدين يجب ألا يبرر فشله. علينا جميعاً أن نفحص أنفسنا لنرى هل نأكل ونشرب لمجد الله، عارفين ومعترفين بأن أجسادنا هي هياكل للروح القدس.

تشتهر بعض الجماعات ومنها المورمون، بالامتناع الكلي عن التبغ والمسكرات وكل شراب يحتوي مواد منبهة. ونحن المؤمنين المسيحيين قد نعد ذلك أحياناً من قبيل الإفراط في التقشف والتقيد الناموسي بمحرمات تنهى الجماعة عن تعاطيها. ولكن يجب ألا يخفى علينا أن تصرفاتهم هي ردة فعل عملية لإيمانهم بأن أجسادهم هي هياكل لله. وبالنسبة إلى المسيحي المؤمن فإن جسده هو بالحقيقة هيكل لله. فمما يبعث على الأسف إذاً أن نرى ديانة مزيفة تجتهد في هذا المجال أكثر من المسيحيين الحقيقيين. ولأقُلْها بكل صراحة: لست في معرض الموافقة على لائحة المحرمات عند المورمون ولا معارضتها، ولكني أرى أننا نحتاج لأن نسائل أنفسنا هل استهلاكنا للطعام والشراب يسيطر عليه الوعي بأن أجسادنا هي هياكل للروح القدس.

سبب آخر يدفعنا إلى كبح شهيتنا المفرطة للطعام والشراب، هو أن الشخص الذي يطلق العنان لجسده في هذه الناحية يلقى صعوبة أكبر في كبح شهواته الأخرى، لأن عادة الاستسلام لرغبة الطعام أو الشراب لا بد أن تمتد إلى نواح أخرى. فإذا لم يكن بمقدورنا أن نقاوم فرط الشهية، فمن الصعب أيضاً ألا نسترسل في الأفكار النجسة. علينا أن نتخذ موقف الطاعة الجدية في كل ناحية، إذا أردنا أن نفلح في إماتة أي تعبير عن الخطية. وقد كتب توماس بوسطن (Thomas Boston): "من أراد أن يحفظ نفسه طاهراً عليه أن يُخضع جسده، وهذا قد يتطلب في بعض الحالات، عنفاً مقدسا".

وقد ذكر الرسول بولس خطية الطمع ووصفها بأنها عبادة أوثان، ووضعها في موازاة خطايا أخرى من الجسد مثل الزنى والنجاسة والهوى والشهوة الردية (كولوسي ٣: ٥). وبينما يظهر الطمع ذاته، عادة في شكله الأساسي، محبة المال لأجل المال بحد ذاته، غالباً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ما نراه أيضاً في ما نسميه المادية. فلا يبتغي الكثيرون منا أن يصبحوا فاحشي الثراء، ولكننا نطمع في جميع الأشياء الجميلة التي يعتبرها المجتمع من حولنا مهمة.

تحارب المادية نفوسنا بطريقة مزدوجة: فهي أولاً تجعلنا غير قانعين، وحاسدين للآخرين. وثانياً تقودنا إلى الانغماس في إشباع أجسادنا حتى نصبح كسالى وذوي رخاوة من الناحية الجسدية، فننزع أن نكون كسالى وذوي رخاوة من الناحية الروحية أيضاً. وعندما تكلم بولس عن استعباد جسده وقمعه، حتى بعدما كرز للآخرين لا يصير هو نفسه مرفوضاً فإنما كان يفكر لا بعدم الأهلية الجسدية بل الروحية. فقد علم يقيناً أن الرخاوة الجسدية تؤول إلى الرخاوة الروحية لا محالة. فعندما ننغمس في إشباع شهوات الجسد، تنزع الغرائز والأهواء للاستيلاء على أفكارنا وتصرفاتنا والتحكم بها، فنميل إلى فعل ما نريده وليس ما ينبغي أن نفعله، فيما نخضع لرغبات الطبيعة الساقطة.

لا مكان للكسل والانغماس الجسدي في سعي منضبط وراء القداسة. إذ ينبغي أن نتعلم قمع أجسادنا بدلاً من الاستسلام لنزوات عابرة. نحن نميل إلى التصرف تبعاً لشعورنا. والمشكلة هنا أننا نادراً ما "نشعر" بالرغبة في فعل ما يليق. فلا نشعر بالرغبة في النهوض من النوم لنمضي فترة تعبدية صباحية، أو لندرس الكتاب المقدس أو نصلي، أو لنفعل أي شيء آخر ينبغي القيام به. لذا علينا أن نسيطر على أجسادنا ونجعلها عبيداً لنا لا سادة علينا.

والنقطة التي ننطلق منها للسيطرة على الميول الملحة التي تصحب رغباتنا الجسدية إنما هي الإقلال من تعرضنا للتجربة. ذلك أن ميولنا الشريرة تنشط لدى مواجهة التجربة؛ فإذا ما تعرضنا لتجربة مغرية، بدا أن ميولنا تكتسب حيوية وقوة جديدتين.

وللرسول بولس في هذا الموضوع كلمات توجيه محددة يقول لنا: "أما الشهوات الشبابية فاهرب منها" (٢ تيموثاوس ٢: ٢٢). فالهرب هو الوسيلة المناسبة للانتصار على بعض التجارب. ويقول أيضاً في موضع آخر: "ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات" (رومية ١٣: ١٤). فلا تخطط مقدماً ولا تصنع تدبيراً لطرق إشباع شهواتك الجسدية.

لاحظتُ منذ بضع سنوات أنني وقعت في أسر رغبة شديدة لتناول البوظة. لا عيب في البوظة بحد ذاتها، ولكن المشكلة كانت أنني انغمستُ وأطلقت العنان لذاتي حتى أصبحتُ أتوق إلى البوظة بإلحاح. وعندما صارحت زوجتي بهذه المشكلة، لم تعُدْ تحتفظ بالبوظة في الثلاجة. فساعدَتْني حتى لا أصنع تدبيراً لإرضاء هذه الشهوة التي أصبحتْ، بسبب فرط انغماسي الذاتي، خطية لي. كذلك ألغيتُ اشتراكي في مجلة رائجة بعدما لا لاحظت أن عدة مقالات فيها كانت تثير أفكاراً نجسة في ذهني.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

علينا أن نهرب من التجربة ونخطو خطوات إيجابية لتفاديها؛ وينبغي لنا أن نتفادى التفكير في كيفية إشباع شهواتنا الخاطئة: "الذكي يبصر الشر فيتوارى. الأغبياء يعبرون فيعاقَبون" (أمثال ٢٧: ١٢).

ومن واجبنا أن نفهم أيضاً طبيعة شهواتنا الخاطئة وكيف تعلن العصيان علينا. وقد قال جان أوين: "أن نجتهد لمعرفة طرق الخطية وحيلها وأساليبها ومناسباتها وفرص نجاحها، ذلك هو بدء الجهاد". فكّرْ بإمكانية التعرض للتجربة قبل التعرض لها. فمن العجب كيف ندخل غالباً في مجالات تجربة مألوفة دون مخطط أو تصميم يتعلق بردة فعلنا. فإذا كنت تعاني ضعفاً تجاه الحلوى مثلي، وعليك الذهاب إلى اجتماع الشركة في الكنيسة، خطط مقدماً لما أنت فاعله. منذ سنوات دُعيَ صديق لي كان حديث عهد بالإيمان إلى حفلة تزلج أقامتها مجموعة من الشبان المسيحيين، فقرر عدم الذهاب، لأنه قبل تجدّده كان يقيم الكثير من الصداقات الدنسة على حلبة التزلج. فشعر بأن الرجوع إلى هذا المحيط في هذه الفترة من نموه، سوف يثير في داخله شهوات قديمة خاطئة. فقرر أن "يهرب" وألا يصنع "تدبيراً للجسد". وقد تمكّن من هذا الأمر لأنه سبق فأخذ بعين الاعتبار العواقب المحتملة التي قد تنتج من حفلة تزلج قد تبدو بريئة في ظاهرها.

يريد لنا الله أن نتحمل مسؤوليتنا في السيطرة على شهوات الجسد. ومن الصحيح أنه ليس بإمكاننا أن نفعل ذلك بقوتنا الذاتية. لان شهواتنا الشريرة التي تغذيها التجارب المحدقة بنا هي أقوى منا. ورغم صعوبة الأمر، نستطيع القيام به. فعندما نباشر هذا العمل متّكلين على الروح القدس، سوف نختبر عمله في داخلنا. سيكون الفشل من نصيبنا مراراً عديدة، ولكن إذا واظبنا نستطيع أن نقول مع بولس: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوّيني" (فيلبي ٤: ١٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثاني عشر

القداسة في الروح

"فإذا لنا هذه المواعيد أيها الأحباء لِنُطهِّر ذواتنا من كلِّ دنس الجسد والرُّوح مكمِّلينَ القداسةَ في خوف الله" (٢ كورنثوس ٧: ١)

درجنا منذ عدة سنين على أن نستخدم خلال عملنا التبشيريّ في الجامعات صوراً إيضاحية وُضِعت بهدف أن يدرك جمهورنا حق الإدراك أنهم خطاةٌ. وكنا نقول: "لو تسنّى لنا أن نعرض على الشاشة في هذه الليلة جميع الأفكار التي دارت في خلد كل منكم الأسبوع الفائت، فإنكم ستغادرون البلدة حتماً". وكانت هذه الملاحظة تصيب الهدف دائماً وتثير موجة من الضحك. لكن المؤمن المسيحي لا يرى في هذا الاتهام أمراً مضحكاً البتة. ذلك أن أفكارنا مهمة عند الله مثل تصرفاتنا، وهو يعرفها بكل وضوح معرفته لأعمالنا (مزمور١٣٩: ١-٤؛ ١صموئيل ١٦: ٧). وقد علَّمتنا موعظة المسيح على الجبل أن وصايا الله لا تهدف فقط إلى تنظيم مسلكنا الخارجي، بل تتناول أيضاً الميول الباطنية. فلا يكفي ألا نقتل، بل يجب أيضاً ألا نضمر الحقد. ولا يكفي ألا نزني، بل يجب أيضاً ألا نبيح أفكاراً ونظرات نجسة.

فكما يجب أن نتعلم إخضاع شهوات الجسد، هكذا يجب أيضاً أن نتعلم إخضاع أفكارنا لطاعة يسوع المسيح. وبالفعل، فإن الرسول بولس يحذرنا من المحاولات المضلة ذات الدوافع الخاطئة في قهر الجسد، والتي تترك باب الفكر مشرعاً دون قيد أو شرط (كولوسي ٢: ٢٣). فمن الممكن أن نكبح ظاهرياً الغرائز الطبيعية في الجسد، ومع ذلك يكون داخلنا مليئاً بكل أنواع النجاسة.

ويشير الكتاب المقدس إلى أن أفكارنا تؤول في نهاية المطاف إلى تحديد أخلاقنا. فقد قال سليمان الحكيم: "لأنه كما شعر في نفسه هكذا هو" (أمثال ٢٣: ٧). ويصف مثل قديم هذا الأمر بدقة:

ازرع فكرة تحصد عملاً؛

ازرع عملاً، تحصد عادة؛

ازرع عادة، تحصد خلقاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولأن حياة الفكر مهمة جداً فقد قال الرسول بولس: "أخيراً أيها الأخوة كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن إن كانت فضيلة وإن كان مدح ففي هذه افتكروا" (فيلبي ٤:٨).

وباعتبارنا مؤمنين مسيحيين علينا ألا نُشاكل نموذج هذا العالم بل أن نجدّد أذهاننا (رومية ١٢: ١و٢؛ أفسس ٤: ٢٣؛١ بطرس ١: ١٤). فالقداسة تبدأ في أذهاننا وأعمالنا ثم تترجم في تصرفاتنا. ولما كان هذا صحيحاً، فإن كل ما نسمح بدخوله إلى أذهاننا يكون فائق الأهمية.

فإن برامج التلفزيون أو أفلام السينما التي قد نشاهدها، والكتب أو المجلات التي نقرأها، والموسيقى التي نستمع إليها، والأحاديث التي نتبادلها، كلها تؤثّر في أذهاننا. لذا نحتاج إلى تقويم مستقيم لتأثير هذه الوسائل مستخدمين الآية الواردة في فيلبي ٤: ٨ بمثابة مقياس: هل الأفكار التي تثيرها هذه الوسائل حق؟ هل هي طاهرة ومسرّة؟ هل صيتها حسن وجدير بالإطراء؟

يحاول العالم من حولنا باستمرار أن يكيّف أذهاننا طبقاً لأعرافه الخاطئة. وهو جاد وملحّ في محاولته أن يغرينا ويغوينا (راجع أمثال ١: ١٠-١٤). وعندما نصدّه يسخر منا وينعتنا بأننا من "الطراز القديم" ورجعيون متزمتون (١ بطرس ٤: ٤).

كثيرون من المؤمنين المسيحيين، بدلاً من أن يقاوموا، يتراجعون أمام ضغوط العالم المستمرة. فمنذ بضع سنوات كان المؤمنون المخلصون يختارون بكل تدقيق أفلام السينما التي يشاهدونها، أو يمتنعون عن ارتياد دور السينما كلياً. أما اليوم فإن الأفلام عينها التي أعرَض عنها الكثيرون في الماضي، تشاهد على شاشات التلفزيون في البيوت في كل مكان. حتى لقد أخبرني أحد أصدقائي أن ز وجين شابين متفرغين للخدمة المسيحية سألاه هل من الخطأ أن يشاهدا الأفلام الخلاعية؟ وطرح هذا السؤال بحد ذاته يبين إلى أية درجة يفسد العالم أذهاننا.

حتى الموسيقى التي نستمع إليها تحمل غالباً بين أنغامها رسالة العالم الذي يستخدم هذه الوسيلة ليصوغنا في قالبه. ولا يستطيع المؤمن المسيحي إلا أن يتأثر تدريجياً بهذا التيار، إذا كان يستمع باستمرار إلى الموسيقى العالمية.

وغنيٌّ عن القول أنه ينبغي للمؤمن المسيحي الامتناع عن التورّط في سماع القصص البذيئة والنكات غير المحتشمة. وما دام بولس لم يتساهل في هذا الأمر مع كنائس القرن الأول، فهل يجوز لنا ذلك في القرن العشرين؟ لنسمع تحذير بولس الواضح في هذا الموضوع: "وأما الزنى وكل نجاسة أو طمع فلا يسمَّ بينكم كما يليق بقديسين ولا القباحة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولا كلام السفاهة والهزل التي لا تليق بل بالحري الشكر" (أفسس ٥: ٣و٤). فهذه الآية تضع أي نوع من الكلام غير المتَّزن خارج نطاق السيرة المقدسة.

حافز آخر للأفكار النجسة يجب الاحتراس منه، وهو ما تراه عيوننا. وقد حذر الرب يسوع من نظرة الاشتهاء (متى ٥: ٢٨). وقد قطع أيوب عهداً لعينيه (أيوب ٣١: ١). ونظرة داود العابثة كادت تقضي على حياته الروحية (٢ صموئيل ١١: ٢). وعلينا الاحتراس ليس فقط مما تشاهده عيوننا بل أيضاً من أن نكون مصدر تجربة للآخرين. لهذا السبب فإن الاحتشام في اللباس والتصرف أمر ضروري للرجال والنساء على السواء (١ تيموثاوس ٢: ٩؛ ٥: ٢).

على أن الآية الواردة في فيلبي ٤: ٨ تتناول ما يجاوز نجاسة الأفكار أو دنسها، إذ ينبغي أن يكون مدار أفكارنا لا الأمور الطاهرة وحسب بل أيضاً "كل ما هو حق...كل ما هو مُسر كل ما صيته حسن". فكما يمكن أن نزني في قلوبنا (متى ٥: ٢٨)، هكذا يمكن أن نقتل في قلوبنا (متى ٥: ٢١و٢٢).

ذكر بولس في إحدى رسائله بعض أعمال الطبيعة الساقطة، وقد تضمنت ما يدنس الجسد مثل: الزنى، النجاسة، العهارة، السُّكر، البطر، وما شابه. وفي القائمة خطايا أخرى تدنس الروح، كالبغض والخصام والحسد والسخط والتحزب والشقاق، وما إليها. فمن واجبنا أن نطهر ذواتنا ليس فقط من الخطايا الفاضحة في الجسد. بل أيضاً من خطايا الروح التي قد نعتبرها "مقبولة" نسبياً.

لكن وأسفاه، ما أكثر ما ذقنا نحن المؤمنين المسيحيين مرارة الفشل هنا أيضاً. فقد ركزنا اهتمامنا على قائمة معينة من المحرمات والمحللات، وأهملنا الحياة الباطنية، حيث يسود الحسد، والكبرياء، والمرارة، وروح الانتقاد الحقود دون أي رادع يلجمنا.

في قصة الابن الضالّ (لوقا ١٥) يظهر الأخ الأكبر مثلاً ممتازاً لشخصٍ عاش حياةً مثاليةً ظاهرياً فيما يتأكَّل داخله من الحسد والبر الذاتي. فقد كان بإمكانه أن يدَّعي أنه لم يخالف وصية واحدة من وصايا والده، ولكن الحسد والسخط اللذين أبداهما عند رؤية فرحة والده برجوع الأخ الضال، تجعله إلى يومنا هذا مثلاً لا يجدر الاقتداء به.

كذلك كانت روح الحسد في جذور الحرب الشرسة التي شنَّها الملك شاول على داود. فقد كان شاول في بداية الأمر راضياً تمام الرضا عن داود، وعيّنه قائداً لجيشه. لكنه في يوم من الأيام سمع النساء ينشدن: "ضرب شاول ألوفه وداود ربواته" (١ صموئيل ١٨ :٧) فحمي غضب شاول لأنهن نسبن إليه الألوف فقط، وإلى داود عشرات الألوف.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وتقول كلمة الله: "فكان شاول يعاين داود من ذلك اليوم فصاعداً" (١ صموئيل ١٨: ٩). لقد وضع الله وفق مشيئته كل واحد منا في جسد المسيح (١ كورنثوس ٧: ١٧). فأعطى بعضاً مراكز مرموقة، وآخرين مراكز وضيعة. وأعطى بعضاً غنى، وآخرين مشقة الصراع اليومي لسد الاحتياج. ولكن مهما كان وضعنا في الحياة أو مركزنا في جسد المسيح فنحن دائماً معرضون لتجربة حسد الآخرين. فمع أن الأخ الأكبر كان سيرِث كل ممتلكات الوالد ذات يوم، فقد اضطرمت نار الغيرة في داخله بسبب وليمة أُقيمت للاحتفال برجوع أخيه، فهو لم يحتمل أن يُمْتَدَحَ شخص آخر أكثر منه.

أما علاج خطية الجسد والغيرة فهو أن نجد كفايتنا في الله. ففي المزمور ٧٣ غار آساف من المتكبرين عندما رأى سلامة الأشرار (العدد ٣). وشعر ببطلان سعيه في سبيل التقوى والقداسة (العدد ١٣). لكنه عندما استطاع أن يقول لله: "ومعك لا أريد شيئاً في الأرض" (العدد ٢٥) عندئذ فقط تحرر من خطية الحسد.

دنس آخر من أدناس الروح حطم حياة الكثيرين من المؤمنين المسيحيين هو المرارة. وهي تنشأ في قلوبنا عندما لا نثق بسيادة حكم الله في حياتنا. وإذا كان لأحد مسوغ للشعور بالمرارة، فذاك هو يوسف. فقد حسده إخوته فباعوه عبداً، واتهمته ظلماً زوجة سيده الفاجرة، ونسي أمره الشخص الذي ساعده في السجن، لكنه هو وضع نصب عينيه أن الله ممسك بأزمَّة كل الأمور التي تجري له. وفي النهاية تمكن من القول لأخوته: "أنتم قصدتم لي شراً. أما الله فقصد به خيراً لكي يفعل كما اليوم. ليحيي شعباً كثيراً" (تكوين ٥٠: ٢٠).

وقد نشعر بالمرارة تجاه الله وتجاه الآخرين. فآساف شعر بالمرارة تجاه الله لأنه اعتقد أن الرب لم يمنحه نصيباً عادلاً في الحياة (مزمور ٧٣: ٢١). وتمرمر أيوب لأنه شعر بأن الله لم يعتدَّ ببرّه، حتى وصل إلى موقف قال فيه: "لا ينتفع الإنسان بكونه مرضياً عند الله" (أيوب ٣٤: ٩).

والمرارة تجاه البشر نتيجة لروح عدم المسامحة. قد يُساء إلينا عن قصد أو عن غير قصد، فنرفض أن نسامح المسيء ونضمر المرارة من نحوه. ونحن نرفض المغفرة لأننا نأبى الاعتراف بأن الله قد غفر لنا شروراً أفظع، فنشبه ذلك العبد الذي أعفي من دفع دين يبلغ الملايين، لكنه زجَّ رفيقاً له في السجن من أجل مبلغ زهيد (متى ١٨: ٢١-٣٥).

خطية أخرى من قريبات المرارة هي روح الانتقام. فعندما تُوجه إلينا إساءة ننزع إلى مقابلتها بالمثل-غالباً في أفكارنا إن لم يكن بأعمالنا. لما فر داود من وجه عصيان ابنه ابشالوم، قابله شمعي من عشيرة شاول، وجعل يشتمه ويرشقه بالحجارة. وأراد أحد رجال داود أن ينتقم من شمعي ويقتله، لكن داود منعه بالكلمات التالية: "دعوه يسبُّ لأن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرب قال له لعل الرب ينظر إلى مذلتي ويكافئني الرب خيراً عوض مسبَّته بهذا اليوم" (٢ صموئيل ١٦: ١و١٢).

وقد كتب بولس الرسول: "لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل أعطوا مكاناً للغضب. لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب" (رومية ١٢: ١٩). وقال الرسول بطرس عن الرب يسوع: "الذي إذا شئتم لم يكن يشتم عوضاً وإذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضي بعدل" (١ بطرس ٢: ٢٣). هذه هي الوسيلة لتطهير أنفسنا من روح الانتقام المدنسة: أن نودِع أنفسنا بين يدي ذاك الذي يقضي بعدل، وقد قال: "لي النقمة أنا أجازي".

ومن أدناس الروح التي تصعب معالجتها روح الانتقاد. روح الانتقاد هي الكبرياء. فبسبب "خشبة" الكبرياء في عيننا لا نحسن التعامل مع "قذى" الحاجة في الشخص الآخر. ونتصرف غالباً كالفريسي الذي لم يكن يعي حاجته فصلّى: "اللهم أنا أشكرك أني لست مثل باقي الناس" (لوقا ١٨: ١١). فما أسرعنا في ملاحظة أخطاء الآخرين وفي التحدث عنها، ولكن ما أبطأنا في رؤية نقائصنا. وكم يطيب لنا التمادي في انتقاد الآخرين، حتى ونحن غير واثقين من الوقائع، وننسى أن من يزرع "خصومات بين أخوة" بالانتقاد والاغتياب هو واحد من الستة التي "يبغضها الرب" (أمثال ٦: ١٦-١٩).

هذه المواقف كلها، الحسد والغيرة والمرارة وروح عدم المسامحة وطلب الانتقام وروح الانتقاد والنميمة، تدنسنا، وتعيقنا عن القداسة أمام الله. وهي بغيضة كالزنى والسكر والفسق. لهذا السبب يجب أن نعمل باجتهاد كي نستأصل من أذهاننا هذه المواقف الذميمة. وغالباً ما لا ندرك أن مواقفنا هذه خاطئة، فتُحجب هذه الأفكار الكريهة بقناع الاستقامة والغضب المقدس. لكننا نحتاج أن نصلي يومياً طالبين تواضعاً وإخلاصاً لنرى هذه المواقف الذميمة على حقيقتها، ثم نعمةً وتدرباً كي نقتلعها من أفكارنا ونستبدل بها أفكاراً ترضي الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثالث عشر

القداسة والإرادة

"لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة" (فيلبي ٢: ١٣).

في مجمل ما ذكرناه آنفاً حول مسؤوليتنا في أمر القداسة، سواء من حيث القناعة والالتزام أو المواظبة والتدرب أو قداسة الروح والجسد، يبقى عمل الإرادة دوماً هو العامل المطلوب ضمناً. ففي نهاية المطاف كل قرار بمفرده في الطاعة أو العصيان هو رهن بالإرادة. فهي التي تختار الاستسلام للتجربة أو الإعراض عنها. إذاً إراداتنا هي التي تحدد نهائياً مسيرتنا الخُلقية، إذ تقرر هل سنتقدس في أخلاقنا وتصرفاتنا أو لاً.

أمَا علينا، وهذه الحال عين الواقع والصواب، أن نعرف كيف تتحرك إراداتنا – ما الذي يجعلها تتخذ هذا المنحى أو ذاك ولماذا تتخذ هذا القرار دون غيره؟ وعلاوة على ذلك، ألا يجدر بنا أن نتعلم كيف نُخضع إراداتنا لطاعة مشيئة الله عملياً كل يوم بل كل ساعة.

وحتى نفهم طريقة تحرك إراداتنا، لنرجع إلى تعريف القلب في الفصل السادس، حيث ذكرنا أن القلب بحسب كلمة الله، يدل على مجمل قدرات النفس من عقل وعاطفة وضمير وإرادة تشترك معاً في عمل الخير أو الشر.

إن الله قد جعل هذه القدرات راسخة في الإنسان، لكنها فسدت بسقوط الإنسان في جنة عدن. فقد أظلم فينا الفكر، أو الفهم (افسس ٤: ١٨)، وأُسِرت رغباتنا (افسس ٢: ٣)، وانحرفت إراداتنا (يوحنا ٥: ٤). أما الولادة الجديدة فقد أنارت بصائرنا من جديد، وصوّبت اتجاه عواطفنا ورغباتنا، وأخضعت إراداتنا. ومع أن هذا الأمر صحيح، فهو لا يصح فوراً، بل يحتاج إلى الاختبار الفعلي لكونه عملية متنامية. فمطلوب منا أن نجدد أذهاننا (رومية ١٢: ٢)، وأن نسعى إلى الأمور التي في العُلى (كولوسي ٣: ١)، وأن نُخضع إراداتنا لله (يعقوب ٤: ٧).

فضلاً عن ذلك، فعندما خلق الله الإنسان أصلاً، كانت العواطف والعقل والإرادة تعمل في انسجام تام. فالعقل يهدي السبيل لإدراك مشيئة الله، والإرادة توافق على مشيئته، أما العواطف فتبتهج في العمل بها. لكن بدخول الخطية إلى نفس الإنسان، ابتدأت هذه القدرات الثلاث تعمل على نحو يعارض الله وبعضها بعضاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أصبحت الإرادة عنيدة متمردة لا تسلّم بما يميزه العقل باعتباره مشيئة الله. وبكلام أبسط، فإن العواطف تهيمن على العقل والإرادة وتبعدهما عن طاعة الله.

غرضي من هذا كله أن نتمكن من فهم العلاقة المتبادلة بين العقل والعواطف والإرادة. وتبقى الإرادة في نهاية المطاف هي المقرر الو حيد لكل الخيارات، لكنها تتأثر في اختيارها بأقوى قوة تُمارس عليها.

وللقوى الضاغطة مصادر شتى. فقد تكون إيحاءات ماكرة من إبليس وعالمه (افسس ٢: ٢) أو إغواء ذميماً من طبيعتنا الساقطة (يعقوب ١: ١٤). وقد تكون صوت الضمير المُلِحّ، أو إقناعاً جدياً يصدر عن صديق مُحب، أو حثاً هادئاً من الروح القدس. لكن أياً كان مصدر هذه القوى، فهي تصل إلى إراداتنا من خلال عواطفنا أو عقولنا.

وعلى ذلك ينبغي لنا مراقبة ما يدخل أذهاننا وما يؤثر في عواطفنا. وقد قال سليمان: "فوق كل تحفّظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة" (أمثال ٤:٢٣). فإذا احترسنا لعقولنا وعواطفنا، سنرى الروح القدس يعمل فينا حتى يكفينا وفق إرادته (فيلبي ٢: ١٢ و١٣). فكيف نتحفّظ لعقولنا وعواطفنا؟

قال داود: "بِمَ يزكّي الشاب طريقه. بحفظه إياه حسب كلامك" (مزمور ١١٩: ٩). فقد تحفّظ داود لطريقهِ بواسطة كلمة الله. والكتاب المقدس يكلّم عقولنا في المقام الأول، ولهذا فمن الأهمية بمكان أن نُخضع عقولنا لتأثيره. فلا وجود بتاتاً لطريق مختصر نحو القداسة يتجنب التزوّد الثابت من الكتاب المقدس أو يهمله.

وقال سليمان أن الحكمة والفهم والمعرفة تنقذنا من الطريق الشرير (أمثال ٢: ١٠-١٢). وهذه من الخصائص العقلية، فكيف نكتسبها؟ "لأن الرب يعطي حكمة، من فمه المعرفة والفهم" (أمثال ٢: ٦). ولكن، لمن يعطي الرب هذه الخصائص؟ إنه يمنحها لمن يقبل كلامه، ويخبئ وصاياه في قلبه، لمن يميل أذنه إلى الحكمة ويعطف قلبه على الفهم، ويلتمس روح التمييز والفهم باحثاً عن الفهم كأنه كنز (امثال ٢: ١-٥).

يتضح لنا ولو من نظرة عابرة نلقيها على أمثال ٢: ١-١٢، أن تأثير كلمة الله الواقي يحصل نتيجة للمواظبة على الصلاة والتزوّد من الكتاب المقدس بطريقة منهجية هادفة. فلكي نحرس أذهاننا يجب أن نعطي الأولوية للكتاب المقدس في حياتنا-ليس فقط من أجل المعرفة الروحية التي يقدمها لنا، بل أيضاً للتطبيق اليومي في حياتنا العملية.

لا يكفي أن نحرس أذهاننا، إذ ينبغي لنا بالمثل أن نحرس عواطفنا. من أجل هذا، يساعدنا في بادئ الأمر أن نعي أن الله غالباً ما يتوجه إلى إراداتنا عبر عقولنا، فيما يتوجه إبليس والخطية إلى استهواء رغباتنا. وصحيح أيضاً أن إبليس يهاجم عقولنا ليشوّش

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بعض المسائل ويحجبها، ولكنه يهدف بذلك إلى التغلب علينا من خلال رغباتنا. هذه هي الخطة التي اتبعها مع حواء (تكوين ٣: ١-٦). فقد هاجم عقلها بِحَملها على الشك في صلاح الله، لكن تجربته الأساسية كانت موجّهة إلى رغباتها. إذ نقرأ أن حواء رأت أن الشجرة جيدة للأكل وبهجة للعيون وشهية للنظر (تكوين ٣: ٦).

عندما نتيقن أن إبليس يهاجمنا أولاً من خلال رغباتنا وميولنا، علينا أن نحرسها باجتهاد ونستحضر كلمة الله لتؤثّر فيها. وهذا ليس تنسكاً بل هو حيطة روحية. فليسعَ كل منا لأن يعرف كيف تهاجمه الخطية من خلال رغباته، ومن ثم يتخذ إجراءات وقائية. على هذا الأمر حثَّ الرسول بولس تيموثاوس عندما نصحه قائلاً: "أمّا الشهوات الشبابية فاهرب منها" (٢ تيموثاوس ٢: ٢٢).

على أن الاحتراس لرغباتنا يعني أكثر من خوض معركة دفاعية تعويقية ضد تجارب العالم والجسد وإبليس. إذ يجب أن نبادر بالهجوم. فإن بولس يرشدنا أن نطلب ما هو فوق، أي القيم الروحية (كولوسي ٣: ١). وصاحب المزمور يحثنا على أن نجد مسرتنا في ناموس الله (مزمور ١: ٢). وقيل بالنبوّة عن الرب يسوع: "إن افعل مشيئتك يا إلهي سررت" (مزمور ٤٠: ٨). نلاحظ إذاً أنه يجب أن نوجه رغباتنا نحو الأمور الروحية، وأن نُسرَّ بناموس الله ومشيئته.

وهكذا تكمل حلقة التدريب الكاملة وفقاً لخطة منظمة. والحالة السوية أن تتضافر عقولنا وعواطفنا للعمل على هذا النحو، ولكن لما كنا نعكس الترتيب على الأغلب، فنعطي الأولية لرغباتنا، فإنه ينبغي لنا أن نعمل على توجيه هذه الرغبات وفقاً لمشيئة الله.

لما ابتدأت أمارس رياضة العدو الوئيد، لم أواظب على الممارسة بسبب فقدان الحافز الشخصي. كنت أعلم أني بحاجة إلى العدو لأن جسدي يحتاج إلى التمرين، ولربما أفادني ذلك نشاطاً وحيوية. ولكن صحتي لم تكن جيدة، ولم يتسن لي أن انظم أوقاتي، وعلاوة على ذلك كانت هذه الرياضة شاقة للغاية. فتوقفت حيناً، ثم أعدت الكرّة، ثم أقلعت دون أن أحرز أي تقدم. إلى أن قرأت كتاباً حول الرياضة في الهواء الطلق للدكتور كنيث كوبر (Kennith Kooper) يعالج فيه أهمية الحركة الشاقة، كرياضة العدو التي تنشط القلب. وقد شرح الدكتور كوبر أهمية العدو الوئيد، وأعطى بعض التوجيهات البسيطة للقيام به، وأيّد وقائعه وتعليماته بأمثلة عن أشخاص تغيرت حالتهم الصحية جذرياً بعد مزاولة هذه الرياضة.

قرأت هذا الكتاب مرات كثيرة. لم أكن احتاج إلى أن أرسّخ إيماني بأهمية العدو الخفيف، فالاقتناع حاصل لديّ من قبل. ولم أكن بحاجة إلى قراءة القواعد البسيطة من جديد، إذ توضحت لي من المرة الأولى. جل ما كنت أحتاج إليه هو الحافز أو الدافع.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وقصص "النجاح"، هذه التي أسميها قصص "ما قبل وما بعد"، دفعتني إلى مزاولة العدو الوئيد. وقد نجحت في المواظبة بعد قراءة قصص النجاح مرات متتالية، إذ أثرت في إرادتي عبر عواطفي (بواسطة الحافز) بعد أن أخفقت في التأثير بها عبر عقلي (بإدراكي أهمية العدو).

فضلاً عن إعطائنا التوجيهات والإرشادات المتعلقة بالعيشة المقدسة، يزخر الكتاب المقدس بقصص "النجاح" عن أشخاص حقيقيين وثقوا بالله وأطاعوه، وقد تغيرت حياتهم جذرياً أو أثرت بعمق في مجرى التاريخ. وفي الأصحاح الحادي عشر من العبرانيين دليل جزئي وموجز يضم بعض هذه القصص. وهناك الكثير منها لم يُذكر، كما يعترف بذلك أيضاً كاتب العبرانيين (عبرانيين ١١: ٣٢). فإن في مآثر بعض الرجال، أمثال دانيال ونحميا واليشع وإبراهيم ونوح وداود، ما يحثنا أن نمضي فنحذو حذوهم. فيحسن بنا أن نطلع دوماً، ضمن برنامج قراءتنا للكتاب المقدس، على سِيَرِ هؤلاء الرجال لنستمد منها ما يحفزّنا على المضيّ قدماً في ميدان القداسة.

وبالإضافة إلى كلمة الله يمكننا أن نطالع بعض الكتب التقليدية التي تشوقنا إلى حياة القداسة والتّقوى. وقد تكون الكتب الوافية بالغرض قليلة، ولكن يجب أن تقرأ مرات عديدة كما قرأت أنا كتاب الرياضة المذكور آنفاً. والفكرة الأساسية أن تكون لدينا خطة واضحة ومنهجيّة لتحرّض نفوسنا على عيشة القداسة. ويبقى الكتاب المقدس خير كتاب في هذا المجال، ولا جدال في أن دراسته اليومية هي الحافز الأقوى على القداسة.

وخلاصة القول أن الله هو العامل فينا حتى نريد ونعمل لأجل مشيئته الصالحة. لكن بولس يوضح بصراحة مكانة السعي الذاتي في هذا السبيل (فيلبي ٢: ١٢). ومسؤوليتنا تجاه إراداتنا أن نحرس عقولنا وعواطفنا ورغباتنا، ونحذر مما يؤثر في عقولنا ويثير رغباتنا. وإذ نوفي قسطنا، يتبين لنا أن روح الله يوفي قسطه في جعلنا أكثر قداسة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الرابع عشر

عادات في القداسة

"لأنه كما قدمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم كذلك قدّموا أعضاءكم عبيداً للبر والقداسة" (رومية ٦: ١٩).

كلما أخطأنا زاد ميلنا إلى الخطية. وقد عبّر جون أوين عن هذه الفكرة بأسلوبه الأنيق الذي يرقى إلى القرن السابع عشر: "إن إخضاع الإرادة مرة للرغبة في الخطية قد يولد استعداداً وميلاً يجعلان هذه الإرادة عرضة للنزوع إلى الموافقة على الخطية عند أقل إغواء".

فكل خطية نرتكبها تعزز عادة ارتكاب الخطية وتسهل أمرها. وقد بحثنا في الفصل السابق في أهمية حماية عقولنا وعواطفنا، باعتبار هذه القدرات بمثابة القنوات التي عبرها تصل مختلف القوى الخارجية المؤثّرة إلى إراداتنا. ومن المهم أيضاً أن نفهم كيف تؤثر عاداتنا في إراداتنا. يمكن تعريف العادة على النحو التالي: "نزعة معينة أو نمط سلوكي يسيطر على أفكار المرء ومشاعره". فالعادات نماذج فكرية وعاطفية تتأصل في أذهاننا. النماذج الباطنية -أي العادات المتأصّلة- تؤثر في أفعالنا تأثيراً فعالاً يعادل قوة تأثير المؤثرات الخارجية أو ربما أكثر. وقد قال أوين أيضاً: "كل شهوة هي عادة أو نزعة فاسقة تعطف قلوبنا دائماً نحو الشر".

كنا قبل الإيمان منصرفين إلى تكوين عادات في النجاسة، إذ استُعبدنا "للنجاسة والإثم" على حد قول بولس (رومية ٦: ١٩). فكل مرة كنا نخطئ، كأن نشتهي أو نحسد أو نبغض أو نغش أو نكذب مثلاً ، كانت تتكوّن وتنمو فينا عادات أثيمة متفاقمة. فهذه الأعمال الشريرة المتكرّرة غدت عادات جعلتنا عبيداً للخطية بالفعل.

أمّا الآن، وكما صرح بولس، فكما أسلمنا أنفسنا سابقاً إلى هذه العادات الذميمة، هكذا الآن ينبغي أن ننصرف إلى تكوين عادات في القداسة (رومية ٦: ١٩). علينا الآن أن نخلع الإنسان العتيق، ميولنا الشريرة وما سببته من العادات الذميمة، ونلبس الإنسان الجديد، ذا الخُلق الممتاز وما يصحبه من عادات في القداسة. وترويض أنفسنا على التقوى (١ تيموثاوس ٤: ٧) هو أن نضبط حياتنا وننظّمها بحيث نتدرب على اكتساب عادات التقوى وتنميتها. وخلع العادات الذميمة هو ما يسميه بولس إماتة أعمال الجسد، (رومية ٨: ١٣).

ومع أنه يجب علينا أن نُقلع عن عادات النجاسة، فينبغي ألا نفعل ذلك بقوتنا الخاصة، لأن إبطال العادات الشريرة يقتضي منا تعاوناً مع الروح القدس واتكالاً عليه. أما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

القرار "لن أعيدها بعد" إذا كان مؤسساً على تصميم بشري صرف، فما كان ليفك قيداً من قيود الخطية على الإطلاق. ولكن هنالك بضعة مبادئ عملية يمكن اتباعها في التدرب على التقوى.

المبدأ الأول هو أن العادات تنمو وتترسخ بمواصلة التكرار. فللكلمة "عادة" تعريف آخر هو: "نمط من السلوك يُكتسب حين يُفعل مراراً وتكراراً". وهذا هو المبدأ الذي ينطوي عليه واقع كوننا نصبح أكثر نزوعاً إلى الخطية بالإمعان في ارتكابها مرة بعد مرة. والعكس أيضاً صحيح: فنحن نصبح أكثر نزوعاً إلى رفض الخطية بالإصرار على رفضها مرة بعد مرة.

فبناء على هذا، واتكالاً على الروح القدس يجب أن نعمل بانتظام على اكتساب عادة صدّ الخطية بأن نقول "لا" للخطايا التي توقعنا بسهولة في حبالها. وكل منا يعرف ما هي الخطايا التي يضعف تجاهها. فلنبدأ بحصر اهتمامنا في صد هذه الخطايا. ومن ثم يرشدنا الرب إلى معالجة خطايا أخرى لم نكن نعيها قبلاً. وكلما نجحنا في قهر رغباتنا الأثيمة، سهلت علينا المقاومة.

بالأسلوب عينه، نستطيع أن نكتسب عادات إيجابية في القداسة. كأن نُنشئ مثلاً عادة الانشغال بأفكار طاهرة ومستقيمة وصالحة. وبإمكاننا أن نُنمي عادة الصلاة والتأمل بكلمة الله. ولكن هذه العادات جميعاً لا تتكون إلا بمواصلة التكرار.

أما المبدأ الثاني لإبطال العادات القديمة واكتساب أخرى جديدة، فهو ألا يُفسح في المجال لأي استثناء. فعندما نسمح بأي استثناء نقوّي العادات القديمة، وبذلك نخفق في ترسيخ الجديدة. عند هذا الحدّ يجب أن نحذر من فكرة "فقط هذه المرة بعد"، لأن هذا النوع من التفكير هو فخّ خبيث وخطر. فلأننا غير مستعدين لأن ندفع ثمن مقاومة رغباتنا، نعلّل النفس بالاستجابة لتجربة أخيرة فقط، واختلاف الوضع في اليوم التالي. ولكننا في أعماق نفوسنا نعلم أنه سيصعب الرفض غداً، ومع ذلك لا نُعنى بهذا الواقع.

والمبدأ الثالث هو أن الاجتهاد في النواحي كافة هو أمر ضروري للنجاح في ناحية واحدة. وكما قال أوين: "دون أي مجهود مخلص وجاد في كل ناحية من نواحي الطاعة لن تُمات خطية واحدة من الخطايا المحدقة بنا". قد نشعر أن هذه العادة المعينة ليست بغيضة، لكن الاستسلام المستمر لها يضعف إراداتنا في مواجهة هجمات التجربة من منطلقات أخرى. لهذا السبب من المهم جداً أن نكتسب عادات الانضباط للتحكم في ميولنا الجسدية. قد نظنّ أنه ليس من الخطأ الانغماس في بعض هذه الميول، لكن هذا يُضعف إراداتنا في نواح أخرى من حياتنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أمّا المبدأ الأخير فهو ألا نفقد العزم إذا أخفقنا. فالفرق شاسع بين أن نخفق في أمر ما وأن نصبح فاشلين. فنحن نصير فاشلين إذ نستسلم ونكفّ عن المحاولة. ولكن ما دمنا نعالج هذه العادات الأثيمة، بغضّ النظر عن المرات التي فشلنا فيها، فلنا أن نتوقع إحراز تقدم.

من العبث أن نحمي عقولنا وعواطفنا من العوامل الخارجية إذا لم نعالج في الوقت عينه عادات الخطية الباطنية. ذلك أننا نخوض جهاد القداسة على جبهتين-خارجية وداخلية. عندئذ فقط نحرز تقدماً في سعينا وراء القداسة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الخامس عشر

القداسة والإيمان

"بالإيمان إبراهيم لما دُعي أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي" (عبرانيين ١١: ٨).

كثيراً ما يُدعى المؤمنون المسيحيون في سعيهم وراء القداسة إلى إتمام واجبات قد تبدو غير معقولة، بل أيضاً سخيفة في نظر العالم غير المؤمن. وإليك مثلاً على ذلك خبر أحد مزارعي ولاية كنساس. فمعلوم أنه عندما ينضج القمح، يجب حصاده بأسرع وقت خشية أن يُتلف الطقس الرديء المحصول أو يُفسد جودته. ولذلك تجري عملية الحصاد خلال سبعة أيام الأسبوع. لكن هذا المزارع كان يؤمن أن الأحد هو يوم الرب، فلم يكن يدع عماله يزاولون نشاطهم في ذلك النهار، حتى إبان الطقس المنذر بالعواصف. وقد بدا هذا التصرف منافياً للعقل وغريباً في نظر جيرانه المزارعين. ولكن اللافت للنظر أن هذا المزارع المسيحي المؤمن كان الأكثر نجاحاً في تلك المنطقة. فإنه، شأنه شأن إبراهيم، أطاع بالإيمان ما بدا له أنه مشيئة الله، رغم صعوبة هذه الطاعة في بعض الأحيان.

غالباً ما نفتكر في القداسة بمعناها الأضيق وهو الانفصال عن كل نجاسة أو فساد أدبيّ، ولكن القداسة بمعناها الأوسع هي الطاعة لمشيئة الله في كل ما يرشدنا إليه. هي أن نقول مع الرب يسوع: "هَئَذا ...لأفعل مشيئتك يا الله" (عبرانيين ١٠: ٧). فلا يستطيع أحد أن يتبع القداسة إذا لم يكن مستعداً أن يطيع الله في كل ناحية من نواحي حياته. والقداسة كما يصفها الكتاب المقدس تدعونا إلى أكثر من مجرد الانفصال عن الفساد الأخلاقي المتفشّي من حولنا، إذ تدعونا إلى إطاعة الله مهما كلف الأمر، حتى لو اقتضى ذلك التضحيات أو التعرّض للمخاطر.

خلال خدمتي في البحرية، توليت مرة مسؤولية عملية عندما حدث خلل مفاجئ، خسرنا من جرّائه مركباً ثميناً وتعرضَت حياة كثيرين للخطر. وموقف كهذا من شانه أن يعرّض للخطر مستقبلي في البحرية. ومع أن سبب هذا الخلل يعود لأسباب ميكانيكية، يبقى أيضاً أننا لم نقم بالعملية وفقاً للأصول الواجبة. وعند إجراء التحقيق، راودتني رغبة ملحة في تغطية هذا الأمر دفاعاً عن نفسي، لكنني كنت أعلم أنه من واجبي أن أكون صادقاً واترك العواقب بيد الله. وبارك الرب هذه الطاعة- فأَولى التحقيق كل اهتمامه للخلل الميكانيكي ولم يُسئ إلى مستقبلي بشيء.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن الطاعة لإرادة الله المعلنة غالباً ما تكون خطوة إيمان، مثلها مثل مطالبة الرب بوعد من وعوده. وفي الواقع أنه مما يثير الاهتمام في سفر العبرانيّين الطريقة التي يدمج فيها الكاتب الطاعة بالإيمان. فهو مثلاً، يتكلم عن عبرانيي العهد القديم الذين لم يدخلوا راحة الله لأنهم لم يطيعوا (٣: ١٨) ويقول أنهم لم يدخلوا لعدم إيمانهم (٣: ١٩). ونرى هذا التبادل بين الإيمان والطاعة جارياً في موضع لاحق من الرسالة (٤: ٢،٦).

وقيل عن أبطال الإيمان الذين ورد ذكرهم في الأصحاح الحادي عشر: "في الإيمان مات هؤلاء أجمعون" (العدد ١٣). ولكن نرى في هذا الأصحاح أن عنصر الطاعة أي الاستجابة لمشيئة الله-كان جلياً في حياتهم تماماً كالركون إلى وعود الله. أما النقطة المهمة فهي أنهم أطاعوا بالإيمان. وبما أن الطاعة هي السبيل إلى القداسة، لأن حياة القداسة هي في الأساس حياة الطاعة، نستطيع القول: ما من أحد يبلغ القداسة بمنأى عن حياة الإيمان.

والإيمان ليس ضرورياً فقط للخلاص، بل هو لازم أيضاً كي نعيش حياة مرضية أمام الله. فهو يقدّرنا على المطالبة بالوعود الإلهية، ولكنه أيضاً يمكننا من إطاعة الوصايا الإلهية، لأن الإيمان يقدرنا على الطاعة حتى عندما تكون مكلفة أو تبدو منافية للعقل بالنسبة للذهن الطبيعي.

وفي عبرانيين ١١، أصحاح الإيمان العظيم، عدة أمثلة تُبرز هذه الحقيقة. فمثلاً، بالإيمان قدّم هابيل ذبيحة لله أفضل من قايين، وبهذا نال رضا الله (العدد٤). ولنا أن نفترض أن الله قد أعلن لقايين وهابيل واجب تقديم الذبائح والطريقة المقبولة لتأدية هذا الواجب. وواضح من الكتاب المقدس أن الطريقة الإلهية المقبولة تقتضي تقريب الحملان ونحوها بسفك الدم. فبالإيمان صدق هابيل ما قاله الله. آمن بكلمة الله وأطاعها، وإن كان على الأرجح لم يفهم لماذا كان تقديم الحمل هو وحده الذبيحة المقبولة. أما قايين فلم يؤمن بإعلان الله في ما يختص بالذبيحة المرضية، ربما لأن ذلك لم يَبْدُ منطقياً في نظره، فاختار العصيان، وبالتالي خسر بركة الله.

تحيط بنا قِيَمُ هذا العالم من كل جانب. فالشهرة، والغنى والسعادة الآنيّة تعتبر قمة الأهداف المرغوبة في هذه الحياة. لكن الكتاب المقدس يعارض بصراحة قيمة هذه الأهداف: "من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً. ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً" (متى ٢٠: ٢٦و٢٧). وعلى الأغنياء ألا "يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى" بل بالأحرى أن يلقوه "على الله الحي" وأن "يكونوا أغنياء في أعمال صالحة وأن يكونوا أسخياء في العطاء كرماء في التوزيع" (١ تيموثاوس ٦: ١٧و١٨). فنحن بحاجة إلى الإيمان ليتسنى لنا اتباع هذه القيم الكتابية فيما المجتمع من حولنا ينشد أهدافاً معاكسة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تماماً. أما محور هذا الإيمان فهو التسليم بأن الله في نهاية المطاف يمنُّ بالرفعة والبركة على الذين يمحضونه الطاعة واثقين به مهما كانت العواقب. إن في سيرة نوح مثلاً ساطعاً على هذا الإيمان: "بالإيمان نوح لما أوحي إليه عن أمور لم تَُرَ بعد خاف فبنى فلكاً لخلاص بيته فِيْهِ دان العالم وصار وارثاً للبر الذي حسب الإيمان" (عبرانيين ١١: ٧). فما أعلنه الله لنوح في ما يختص بدينونة العالم الوشيكة، إنما كان إنذاراً في الدرجة الأولى. وبالإيمان صدق نوح هذا الإنذار، إذ اقتنع بأشياء لم يكن قد رأى مثلها، وذلك على أساس كلمة الله المعلنة وحدها. وقد وثق أيضاً بأن وسيلة الخلاص من هذا القضاء المحتوم هي ما عيَّنه الله أي الفلك. فاستجاب لوعد الله وبذلك خلَّص نفسه وعائلته.

يعتبر بناء الفلك من أعظم الأمثلة التي شهدها العالم عن المواظبة على مهمة صعبة من باب الطاعة. فقد عمل نوح بكدٍّ وجدٍّ على مدى مئة وأربعين عاماً لأنه اعتبر بإنذار الله وآمن بوعده.

وفي سيرة إبراهيم أيضاً ما يوضح عنصر الطاعة في الإيمان. فقد تضمنت دعوة إبراهيم أمرين هما: الوصية والوعد. أما الوصية فكانت أن يترك بيت أبيه ويذهب إلى أرض يرشده عليها الله. أما الوعد فكان أن الله سيجعله أمّة عظيمة ويبارك به جميع قبائل الأرض. وقد آمن إبراهيم أن الوصية والوعد كليهما من الله، فأطاع الوصية ورجا إتمام الوعد. وكتب عنه: "بالإيمان إبراهيم...أطاع" (عبرانيين ١١: ٨).

يدوّن الكتاب المقدس قصة إبراهيم وطاعته بطريقة واقعية عملية، بحيث يسهل أن تفوتنا ملاحظة صعوبة هذه الطاعة والإيمان الذي تطلبه. ويشبه جان براون (Jhon Brown) ما جرى لإبراهيم بما يجري لشخص يغادر شواطئ أوروبا قبل اكتشاف أمريكا، مسلماً نفسه وعائلته إلى رحمة الأمواج امتثالاً لأمر إلهي ووعد بأنه سيؤتى به إلى بلد فيه يصبح مؤسِّساً لأمة عظيمة ومصدر بركة لأمم كثيرة.

كثيراً ما يتناقض سبيل الطاعة في السعي وراء القداسة مع المنطق البشري. فإذا لم نكن مقتنعين بضرورة إطاعة إرادة الله المعلنة وواثقين بالمواعيد الإلهية، فلن نواظب أبداً على هذه المهمة الشاقة. علينا أن نقتنع تماماً بأن مشيئة الله تقتضي أن نُجِدَّ في طلب القداسة بغضّ النظر عما في الأمر من صعوبة مضنية. وعلينا أن نثق بأن السير في هذا المنهج ينتج منه التمتع ببركة الله ورضاه ولو أظهرت الظروف عكس ذلك.

وغالباً ما نواجه في حياتنا عمل طاعة معيناً يقتضي قناعة وثقة في آن معاً.مثلاً على ذلك، وصية الله لشعب إسرائيل بتكريس السنة السابعة سبت راحة للأرض وسبتاً للرب، فلا تُزرع الحقول ولا تقضب الكروم (لاويين ٢٥: ٣و٤). وبموازاة هذه الأمر وعد الله أنه سيبارك محصول السنة السادسة بحيث يكفي لثلاث سنين (لاويين ٢٥:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢٠- ٢٢). فعندما يثق بنو إسرائيل بوعد الله عندئذٍ فقط يقدمون على إطاعته. ومن المحزن أن العهد القديم يشير إلى أن الشعب لم يثق بوعد الله ولم يقتنع بأن إرادة الله الروحية في هذا الأمر مهمة لازدهار بلدهم وحياتهم الروحية.

وفي العهد الجديد نظير لهذا المبدأ الروحي نجده في كلمات المسيح: "لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم" (متى ٦: ٣٣). فالوصية هنا أن نطلب ملكوت الله أولاً. أما الوعد فهو أن الله، إذ نفعل ما يوصي به، سيوفر لنا احتياجاتنا الزمنية. وغالباً تخور قلوبنا في تصديق وعد الله، فنجد من الصعب إطاعة أمره. ونتيجة لذلك نعطي الأولية لشؤون هذه الحياة في القرارات الأساسية التي نتخذها.

ولنا في يربعام، أول ملك على المملكة الشمالية في إسرائيل خير مثال على أن عدم الإيمان يؤدي إلى العصيان. فقد وعده الله بالقول: "فإذا سمعت لكل ما أوصيك به وسلكت في طرقي وفعلت ما هو مستقيم في عيني وحفظت فرائضي ووصاياي كما فعل داود عبدي أكون معك وأبني لك بيتاً كما بنيت لداود وأعطيك إسرائيل " (١ ملوك ١١: ٣٨).

هل صدق يربعام الله وأطاعه؟ لا، فإننا نقرأ: "وقال يربعام في قلبه الآن ترجع المملكة إلى بيت داود. إن صعد هذا الشعب ليقربوا ذبائح في بيت الرب في أورشليم يرجع قلب هذا الشعب إلى سيدهم إلى رحبعام ملك يهوذا ويقتلوني ويرجعوا إلى رحبعام ملك يهوذا. فاستشار الملك وعمل عجلَي ذهب وقال لهم: كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم. هو ذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر" (١ ملوك ١٢: ٢٦-٢٨).

ولعلنا نظن أن يربعام لم يفهم وصية الله ووعده حتى استخف بهما بهذه الطريقة الفاضحة. إلا أنه فهم يقيناً، ولكن ما سمعه لم يكن ذا أهمية لأنه لم يكن ممتزجاً بالإيمان(عبرانيين ٤: ٢). ولكن قبل أن ندين يربعام، لنمتحن أنفسنا: كم من المرات نخفق في إطاعة إرادة الله الواضحة لأننا لا نمارس إيماننا؟

لأننا لا نؤمن بأن التواضع هو السبيل الإلهي إلى الرفعة (١ بطرس ٥: ٦)، نناور من أجل مركز مرموق أو نفوذ ما في معاملتنا مع الآخرين. ولأننا لا نؤمن بأن الله يرى ويعرف كل شيء وأنه في حينه سينتقم لنا جزاء ما أُسيء به إلينا (رومية ١٢: ١٩)، نخطط في أذهاننا كيف سنرد الكيل كيلين إلى من أساء إلينا. ولأننا لا نقتنع بأن الخطية غرّارة (عبرانيين ٣: ١٣)، نلاعبها ونداعبها ظناً بأن في ذلك ارتواء لنا. ولأننا نفتقر إلى إيمان راسخ بأنه من دون قداسة "لن يرى أحد الرب" (عبرانيين ١٢: ١٤)، لا ننشد القداسة باعتبارها مطلباً أوّلياً في حياتنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

القداسة والإيمان مترابطان ترابطاً لا تنفصم عراه. فطاعة وصايا الله تستلزم، عادة، تصديق وعوده. حتى أننا نستطيع أن نعرف الإيمان كما يلي: "إطاعة إرادة الله المعلنة وتسليم العواقب بين يديه بكل ثقة".

"بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه" (عبرانيين ١١: ٦). فإذا أردنا اتباع القداسة لا بد لنا من أن نتسلح بالإيمان حتى نطيع مشيئة الله المعلنة في الكتاب المقدس، ونصدق أننا سننعم بمواعيد الله لا محالة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السادس عشر

القداسة في عالم شرير

"لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير" (يوحنا ١٧: ١٥).

لا بد لكل مؤمن مسيحي أن يعيش إيمانه المسيحي في إطار عالم فاسد. ويواجه بعضهم تجارب غير معتادة وسط بيئة ناضجة بالإثم والفساد. فمثلاً، الطالب في مهاجع الجامعة، والرجل أو المرأة في قاعدة عسكرية أو على متن باخرة، يعيشون غالباً في محيط لوّثه الفجور والفسق والشهوة. ومن كان يعمل في التجارة ونحوها يرزح تحت وطأة ضغوط شديدة، لكي يقبل بتسويات مُذِلَّة على صعيد المقاييس الأخلاقية أو القانونية لكي يرضي جشع شركائه وعدم نزاهتهم. فإذا لم يستعدَّ المؤمن المسيحي لمواجهة مثل هذه الهجمات الآثمة على ذهنه وقلبه، يواجه مشقّة كبيرة للمحافظة على قداسته الذاتية.

يقول يعقوب أن جزءاً من الديانة الصحيحة أن نحفظ أنفسنا "بلا دنس من العالم" (يعقوب ١: ٢٧)، ويحثنا بولس بقوله "اخرجوا من وسطهم واعتزلوا" (٢ كورنثوس ٦: ١٧). فماذا ينبغي أن تكون ردة فعل المؤمن المسيحي عندما يجد نفسه فريسة ضغوطات لا هوادة فيها من قِبَلِ عالم شرير؟

الواضح من صلاة ربنا يسوع أنه لا يريد أن نقطع كل اتصال بيننا وبين عالم غير المؤمنين (يوحنا ١٧: ١٥). بل أنه قال، في المقابل، أن من واجبنا أن نكون "ملح الأرض" و"نور العالم" (متى ٥: ١٣و١٤). وجميع كتبة العهد الجديد يعتبرونه أمراً بديهياً أن المسيحي المؤمن يعيش وسط عالم فاسد فاسق. (للمراجعة: ١ كورنثوس ٥: ٩و١٠؛ فيلبي ٢: ١٤ و١٥؛ ١ بطرس ٢: ٢-١٢؛ ٣: ١٥و١٦). ولم يقل لنا أحد قط أن حياتنا في العالم ستكون سهلة، بل نفاد بالأحرى أننا سنتلقى في هذا المحيط كثيراً من الإساءة والضيق والهزء (١ بطرس ٤: ٣و٤: ٢ تيموثاوس ٣: ١٢؛ يوحنا ١٥: ١٩).

بدلاً من الانسحاب من العالم، ينبغي أن نجاهد لمقاومة تأثيره. ولكي يتم هذا يجب أن نقرر تطبيق القناعات التي آتانا إياها الرب في الكتاب المقدس. لا يمكننا أن نكون مثل "الثرثار" في كتاب "سياحة المسيحي"، ذاك الذي كان يتباهى بأنه يتكيف مع أي صنف من الرفقة أو أي نوع من الأحاديث.

فهو بمثابة حرباء تغيّر ألوانها بحسب تغيرات المحيط. ولربما نعرف كلنا أشخاصاً ذوي لسانين – واحد للدائرة المسيحية وآخر لزملائهم من أهل العالم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومن اللازم أن نرسخ القناعات التي نكتسبها في ما يختص بإرادة الله لجهة حياة القداسة، بحيث تكون ثابتة كما على الصخر للصمود في وجه هزء الفجار والضغوط التي يمارسونها علينا لنتكيّف مع سبُلهم الشريرة. وما زلت أتذكر سخرية زملائي الضباط على متن الباخرة إذ طالما تهكّموا بي بسبب صورة قذرة علّقوها في صدر غرفة الطعام.

دعم آخر يعزِّز العمل بقناعاتنا، وهو أن نعلن وقوفنا إلى جانب المسيح كلما وُجِدنا بين أهل العالم. وهذا يجب أن يتم بطريقة لبقة لكن واضحة المعالم. كنت كلما صعدت على متن الباخرة أعلن إيماني المسيحي بمجرد أن أحمل علانية الكتاب المقدس. وبإمكان الطالب الذي يعيش في أروقة الجامعة أن يعمل الشيء عينه، فيضع كتابه المقدس بمرأى جميع الداخلين إلى غرفته. فالوقوف علناً في صف المسيح يجنِّبنا تجربة التكيف مع محيطنا الآثم على غرار ما فعله ذلك الثرثار الذي نقرأ عنه في "سياحة المسيحي".

ولكن رغم تصميمنا على العيش في هذا العالم وفقاً للقناعات التي نستقيها من كلمة الله، وإعلان وقوفنا في صف المسيح، فما نزال نتعرّض غالباً للتلوث بمحيطنا الدنس. فالصور البذيئة المنتشرة في بعض الأماكن، والنكات القذرة التي يتندر بها بعضهم في حضورنا، والمباهاة اللامتناهية بالأعمال الدنيئة وأخبارها، تتضافر كلها كي تُغرق أذهاننا في فساد هذا العالم. أضف إلى هذه اللائحة، الطرق الملتوية التي يتبعها رجال الأعمال، والقال والقيل بين الجيران وزملاء العمل، والأكاذيب أو الحقائق المشوهة التي نسمعها من كل ناحية.

الكتاب المقدس هو حصننا المنيع من هذا التلوث. وكما قال داود: "بِمَ يزكِّي الشاب طريقه. بحفظه إياه حسب كلامك" (مزمور ١١٩: ٩). فإذا تأملنا في تعاليم الكتاب المقدس، فلا بد أن ينقِّي أذهاننا من دنس العالم، ويكون أيضاً بمثابة تحذير دائم، حتى لا نستسلم للإغراءات المتعددة للانغماس في الأفكار والمناظر القذرة من حولنا. أعرف رجلاً التحق بجامعة ملحدة دنيوية، وحتى يحفظ ذهنه من تأثيرات هذا المحيط الفاسد، صمم أن يخصص وقتاً لكلمة الله كالوقت الذي يخصصه لباقي دروسه. وهذا الرجل هو مرسل رائد كان له بالغ الأثر في حياة المئات من الأشخاص.

في الكتاب المقدس آيات يمكن استظهارها للتأمل فيها حين نجد أنفسنا في محيط فاسد. ومن هذه الآيات: "الهاوية والهلاك لا يشبعان وكذا عينا الإنسان لا تشبعان" (أمثال ٢٧: ٢)، وأيضاً: "ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التي لا تليق بل بالحري الشكر" (أفسس ٥: ٤).

ويجب ألا تقتصر ردة فعلنا تجاه المحيط الفاسد على موقف دفاعي فقط، إذ علينا أن نهتم، علاوة على طهارة قلوبنا وعقولنا بالمصير الأبدي للأشرار من حولنا. فقد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وضعنا الله في العالم لنكون ملحاً ونوراً (متى ٥: ١٣و١٤). وتشبيهنا بالملح لوصف علاقتنا بالعالم يُفيدنا، نحن المسيحيين المؤمنين، إن من واجبنا أن نكون القوة الحافظة المضادة للفساد والعاملة على منع كل انحلال والوقاية منه. ويقول الدكتور وليم هندريكسن (Dr.William Hendriksen) "إن الملح يحارب التلف. وهكذا المؤمنون إذ يظهرون عملياً أنهم بالحقيقة مسيحيون، يحاربون باستمرار الفساد الأخلاقي والروحي...متيقنين أن العالم آثم وشرير. لكن الله وحده يعلم إلى أي مدى بعد كان يمكن أن ينحل لولا ما يكبح جماحه من صلوات القديسين وسيرتهم ومثلهم الصالح".

وبما أننا "نور العالم" فنحن حملة بشارة الخلاص. إن المسيح هو وحده النور الحقيقي، ولكن يصح علينا ما قيل عن يوحنا المعمدان: "جاء ليشهد للنور" (يوحنا ١: ٧-٩). فالمؤمن الذي يشهد عن المسيح لشخص آخر بروح الاهتمام الصادق لن تفسده لا أخلاقية هذا الشخص بل ربما تسنى له أن يربح نفس ذلك الشخص باقتياده إلى المخلِّص من طريق الاهتمام المحب والعطوف.

لن نؤدي دورنا، باعتبارنا ملح الأرض ونور العالم، باللجوء حتماً إلى فضح خطايا زملائنا من أهل العالم. فإن في سيرتنا المقدسة زاجراً كافياً، واهتمامنا بالآخرين هنا لا يتناول مسلكهم وتصرفاتهم بل يعنى بحاجتهم إلى المخلّص يسوع المسيح. امتاز هنري كلاي ترمبل (Henry Clay Trumbull) بعمله التبشيري الفردي. ففي أحد الأيام ألفى نفسه جالساً في القطار قرب شابّ أفرط في تناول المُسكر. وقبل كل جرعة، كان يقدم الزجاجة إلى هنري فيرفض شاكراً. وفي نهاية الأمر قال له الشاب: "ربما تعتبرني شاباً خشناً أرعن". فكان جواب هنري "بل أظن أنك شاب كريم الطباع"، فاتحة لحديث أقنع هذا الشاب بحاجته إلى المسيح للخلاص.

بعد أن دعا يسوع متى العشار ليتبعه ودخل بيته ليأكل عنده بمحضر بعض أصدقائه، تذمر الفريسيون على تلاميذ المسيح قائلين: "لماذا تأكلون وتشربون مع عشارين وخطاة؟" فأجابهم الرب: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة" (لوقا ٥: ٣٠-٣٢). وبالطبع، هذا ما يريد الله أن نعمله إذا أردنا أن نُشع كأنوارٍ في العالم.

ولكن مع الاقتراحات المقدمة في هذا الفصل، قد يأتي في الأخير وقت لا يعود فيه فساد المجتمع، إذ نغدو كلوط نتعذب بالأفعال الأثيمة التي نرى ونسمع (٢ بطرس ٢: ٧و٨؛ تكوين ١٩). وموقف يحصل مثلاً في المهاجع الجامعية المختلطة حيث ينغمس بعض الطلبة غير المتزوجين في أفعال فاجرة، أو في العمل حيث تتفاقم الضغوط لمخالفة القانون أو المهاودة في العمل وفقاً للمبادئ المسيحية . ففي مثل هذه الحالات علينا، بروح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الصلاة، أن نفكر جدياً بوجوب ترك هذه الأمكنة الفاجرة (أنا أعرف أن أمراً كهذا قد يكون مستحيلاً على البشر في مراكز الجندية، ولكن بإمكاننا اللجوء إلى الرب بالصلاة، لأنه لا يستحيل عليه شيء.)

يعترف الجميع بأن المحافظة على القداسة الشخصية في عالم شرير هي أمر شاق للغاية. والاقتراحات التي قدمتها لا تهدف إلى تبسيط المشكلة، بل تقدم مساعدة عملية لمشكلة مستعصية. وفوق كل اعتبار، علينا أن ننظر إلى الرب يسوع الذي آكل العشارين والخطاة، رغم كونه قدوساً "بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السماوات" (عبرانيين ٧: ٢٦). وينبغي أن نتمسك بوعده القائل: "لم تصبكم تجربة إلا بشرية. ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا" (١ كورنثوس ١٠: ١٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السابع عشر

فرح القداسة

"لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس" (رومية ١٤: ١٧).

يريد الله أن تكون الحياة المسيحية مُفعمة بالفرح وليس بالكدح. أما الفكرة التي تصور القداسة بأنها ترتيب صارم فهي تشويه مضلل. ففي الواقع أن العكس هو الصحيح. لأن من يسلك في القداسة فقط هو الذي يختبر الفرح الحقيقي.

قال الرب يسوع: "إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبّتي كما أني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته. كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم" (يوحنا ١٥: ١٠و١١). وفي هذا التصريح يربط الرب يسوع الطاعة بالفرح حسب علاقة السبب والنتيجة، أي أن الفرح ينتج عن الطاعة. فالذي يطيع، أي الذي يسير في منهج القداسة كنمط حياة، وحده يختبر الفرح النابع من لَدُن الرب.

كيف تنتج القداسة الفرح؟ لا ننسى أولاً أن الفرح ينبع من الشركة مع الرب. فقد قال داود: "أمامك شبع سرور. في يمينك نعم إلى الأبد" (مزمور ١٦: ١١). الله هو مصدر كل فرح حقيقي يُنعم به على الذين يسلكون بالشركة معه. فلما اقترف داود خطيته الفظيعة من قتل وزنى، طلب إلى الرب في صلاة التوبة: "وُدّ لي بهجة خلاصك" (مزمور ٥١: ١٢). فحياة العصيان وحياة الفرح لا تلتقيان.

واختبارنا اليومي لمحبة المسيح مرتبط بإطاعتنا له. لا يعني هذا أن محبته مشروطة بطاعتنا، فمن شأن ذلك أن يصبح معاملة ناموسية لكن اختبارنا لمحبته يتوقف على طاعتنا له.

يلاحظ الدكتور وليم هندريكسن (Dr. William Hendriksen) أن محبة الله تتقدم طاعتنا وتتبعها في الوقت عينه. ويقول أن محبة الله "إذ تتقدم محبتنا تنشئ فينا توقاً شديداً للعمل بوصايا لمسيح، ثم إذ تتبع محبتنا تكافئنا لأننا عملنا بتلك التعاليم.

سببٌ آخر يدعو للفرح وهو أن أعلم أني أطيع الله –أي أني لم أعد أقاومه من ناحية معينة من حياتي. ويظهر هذا الفرح بشكل خاص بعد صراع مرير بين الروح القدس والطبيعة الساقطة، عندما نتغلب بالنعمة نهائياً على خطية معينة كانت تحكم قبضتها علينا. وقد نسمي هذا فرح النصرة ؛ أما أنا فأوثر تسميته فرح الطاعة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

علاوة على فرح الشركة مع الله القدوس، فإن حياة القداسة تنشئ فرح توقع المكافأة.

قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين: "لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا. ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله" (عبرانيين ١٢: ١و٢). فما حث يسوع على الاحتمال هو توقّعه لفرح المكافأة، فلا شدة أو مشقة كان لها أن تحرمه هذا التوقع.

في مَثَل الوزنات قال السيد للعبدين اللذين استثمرا وزناتهما: "نعمًّا أيها العبد الصالح والأمين...ادخل إلى فرح سيدك" (متى ٢٥: ٢١-٢٣). وإحدى الوزنات التي يهبها الله لكل مؤمن مسيحي هي إمكانية السلوك في القداسة لكونه تحرر من سيادة الخطية. ونحن أيضاً، لنا أن نتشوق لدخول فرح سيدنا فيما نسلك في القداسة إلى آخر يوم من حياتنا. وليس الفرح فقط نتيجة حياة مقدسة إنما يصحّ القول أن الفرح يسبب حياة مقدسة. فقد قال نحميا للمسبيّين المكتئبين العائدين إلى أورشليم: "فرح الرب هو قوتكم" (نحميا ٨: ١٠). والمؤمن المسيحي الذي يعيش في العصيان يفتقر إلى الفرح والرجاء. لكنه عندما يدرك أن الرب يسوع قد انتشله من قبضة الخطية ويعرف أنه متحد بصاحب كل قوة وسلطان، وأنه من الممكن أن يسلك في الطاعة، يتألق أمام ناظريه نور الرجاء. وإذ يضع رجاءه في المسيح، يأخذ باختبار الفرح. وبقوة الفرح يبدأ بالانتصار على الخطايا التي يسهل أن يقع في فخّها. ويكتشف أنّ فرح السّيرة المقدسة أكثر إرواءً وإشباعاً بكثير من التمتّع الوقتي بالخطية.

ولكن، لكي نختبر هذا الفرح علينا أن نقوم بحسم بعض الخيارات: فنختار التخلي عن الخطية، ليس فقط لأنها تهزمنا بل لأنها تحزن قلب الله، ونختار إجراء حساباتنا على أساس كوننا أمواتاً عن الخطية، محررين من سلطانها وسيادتها، وفي وسعنا الآن أن نصدّها. ونختار تحمل مسؤوليتنا في تدريب أنفسنا على الطاعة.

إن الله قد أعدّ كامل العدّة لنا للسير في منهج القداسة. فقد حرّرنا من حكم الخطية، ووهبنا روحه القدوس، وأعلن في الكلمة المقدسة إرادته بخصوص سيرة القداسة، وهو العامل فينا كي نريد مسرته ونعمل من أجلها. وقد أقام رعاة ومعلمين لحثّنا على السلوك في نهج القداسة؛ وهو يستجيب لصلواتنا عندما نصرخ متضرعين، طالبين قوة لمواجهة التجربة.

والحقيقة أن الخيار هو لنا. فماذا نختار؟ هل سنتحمل مسؤوليتنا وندرب أنفسنا للعيش في طاعة مستمرة للإرادة الإلهية؟ هل سنواظب رغم السّقطات العديدة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مصمّمين على المضيّ قُدماً؟ هل سنقرر أن القداسة الشخصية تستحق ثمن كبح شهوات الجسد ورغباته؟

سبق أن أشرنا في مقدمة هذا الكتاب إلى المزارع الذي يتكل على الله ويتمّم مسؤولياته اللازمة لإنتاج المحصول. فهو لا يتراخى وينتظر تدخل الله، بل بالحري يعمل بنفسه، ويثق بأن الله سيوفي قسطه من العمل. فعلينا أن نحتذي بمثال هذا المزارع، إذا ابتغينا إحراز التقدم في مجال القداسة. أليس قول الله "كونوا قدّيسين لأني أنا قدّوس" أوضح وأصرح من أن نناقشه؟ وهو بالطبع لم يأمرنا بالقداسة دون أن يدبّر الوسيلة لتنفيذها. فلنا الامتياز أن نسلك في القداسة، وكذلك علينا القرار والمسؤولية. فإذا اتخذت هذا القرار وتحمّلت مسؤوليتك فلا بدّ أن تختبر ملء الفرح الذي وعد به المسيح جميع الذين يسلكون سبيل طاعته.

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com